سر الواحد الأحد في

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾

لمحمد عارف بن أحمد بن سعيد المُنَيِّر الحسيني الشافعي

(المتوفى سنة ١٣٤٢هـ)

دراسةً وتحقيقًا

دكتور

إنعام بنت محمد مصطفى البديوي

وكيلة عمادة شؤون الطلاب لشطر الطالبات

أستاذ التفسير المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة تبوك

ملخص البحث

فهذه رسالةٌ قيمةٌ في علم التفسير: للعالِم الشيخ محمد عارف بن أحمد بن سعيد المُنيّر؛ الدمشقي الحسيني الشافعي (ت ١٣٤٢هـ)؛ عنوانها: سر الواحد الأحد في: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾.

أتى فيها على تفسيرِ كاملِ آيات سورة البلد؛ ذاكرًا السببَ الباعثَ على ذلك؛ وهو: ليكون أغنياء المسلمين مُسعِفين لفقرائهم، وأن يعرفوا حقهم؛ فلا يُسلِمُوهم ولا يخذلوهم.

وقد مهَّدَ لرسالته بعددٍ من المباحث؛ هي: (عِظَم البسملة وفضلها وخواصها)؛ و(ما جاء في الحِلْم والحِدَّة والكرم والبخل)؛ و(أسماء الله الحسنى). ثم ختم رسالتَه بنصيحةٍ في: (الصدقة والدعاء).

وقد امتاز منهجه في التفسير: بأنه تفسيرٌ بالمأثور؛ مع استكمال آلاته ومواده؛ من شرح الغريب، وضبط مُشكِل الألفاظ كتابةً، وبيان المصطلحات، والحُكْم على بعض الروايات، والعناية باختلاف ألفاظها وشرح معانيها، والاستشهاد بالشِّعْر والمَثَل؛ مع تبيين الأحكام الشرعية، وتعليل بعض الاستعمالات الأصولية، وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة بين المسلمين، وبعض الافتراءات الصادرة عن غير المسلمين؛ إضافةً إلى إبرازه جانبَ مداواة النفوس، وربط تفسيره بمشاهدات واقعه، وتمام نصحه لعامة المسلمين وخاصتهم.

هذا؛ وإني قد عُنِيتُ بخدمة نص هذه الرسالة، وإخراجها وفق المنهج العلمي، وعزوتُ ما فيها من الآيات إلى سورها، وخرَّجتُ أحاديثَها وآثارَها، ونسبتُ

شِعرَها ومَثَّلها، ووثقتُ النصوصَ المنقولةَ فيها، وعلقتُ على ما يحتاج فيها إلى تعليق.

وقد سرتُ في تحقيقها وفق خطةٍ تتألف من قسمين؛ كان القسم الأول منهما: (في الدراسة)؛ وهي من فصلين: فصلٍ يتعلق بالتعريف بالمؤلف، وفصلٍ يتعلق بالتعريف بالرسالة. ثم القسم الثاني: (للنص المحقق)، وأعقبتهما بخاتمةٍ، ثم فهرست المصادر والمراجع

مقدمة البحث

الحمد لله موفق من شاء إلى هدايته، والصلاة والسلام على المبعوثِ برسالته، وعلى آله وصحبه المُصطَفَيْن برعايته، المُختارِين بعنايته؛ صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم حوضه وشفاعته، وبعد ..

فما فتئت بلادُ الشام المباركة تُخرِجُ لنا أئمةً أبرارًا وعلماءَ أخيارًا؛ أفضَوْا إلى الله بما قدَّموا، واستخلفوا في مشهد الأحياء ما أخَّروا؛ فَمِنْ قراطيسَ تبثُّ علومَهم وفنونَهم، ودروسٍ وحِلَقٍ بعثَتْ في الدنيا أمثالَهم، وإصلاحاتٍ وبركاتٍ جادَتْ بها نفوسَهم وقرائحَهم؛ فجزاهم الله عن أمة نبيه ﷺ خيرًا؛ وادَّخرَ لهم من ذلك ما يرفع عنهم لأواءَ هم في كل وقتٍ وحين.

وإن من العلماء الشاميين المتأخرين الجِلَّة: الشيخَ محمد عارف بن أحمد بن سعيد الدمشقيَّ الحسينيَّ الشافعيَّ؛ المعروفَ بـ (ابن المُنيِّر)؛ المتوفى في القرن الهجري الماضي سنة (١٣٤٢هـ)؛ والذي خلَّف في الخزانات ما يربو الستين رسالةً وكتابًا متنوعةَ العناوين؛ كُلُّها تُنبِينا عن سعة علمه وتفننه؛ لكننا –ومع الأسف– لم نرَ من عُنِيَ بتراثه دراسةً وتحقيقًا؛ إلا تحقيقًا غُفْلًا باردًا في حدود الرسالتين أو الثلاثة.

وقد وقفتُ على رسالةٍ له بخطه في علم تفسير القرآن الكريم؛ سماها: سرَّ الواحد الأحد في: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾؛ هي واحدةٌ ضمن عشراتٍ لم تطلها يدُ الخدمة والإذاعة؛ وقد لاحت رغبتي في إخراجها وإفادة الناس منها.

ولا أذيع سرًّا أن نشرَ هذه الرسالة في وضعها وترتيبها، وسهولةِ أسلوبها وعرضها: يُعَدُّ إحدى تلكم المُغرَيات الخيِّرة التي تُعِينُ العامةَ على إفهامهم كلامَ رب العالمين ﷻ؛ فضلًا عن أن المنهجَ المزجيَّ الذي سلكه في التفسير بالمأثور، والتنويع بين التوظيفات والأدوات: من أجلِّ ما يُفَادُ منه الخاصةُ من طلاب علم التفسير وعلوم القرآن الكريم في عصرنا.

لقد أثرى ابن المُنيِّر رسالتَه هذه في تفسير سورة البلد؛ سواءٌ من خلال: ما مهَّده لها من مباحث؛ هي: (عِظَم البسملة وفضلها وخواصها)؛ و(ما جاء في الحِلْم والحِدَّة والكرم والبخل)؛ و(أسماء الله الحسنى).

أو من خلال: مسالكه في تفسير ألفاظ الآيات ومعانيها؛ نحو: شرح الغريب، وضبط الألفاظ المُشكِلَة كتابةً، وبيان المصطلحات الشرعية، والعناية باختلاف ألفاظ الروايات، والحكم على الأحاديث والآثار وشرح بعضها، والاستشهاد بالشعر وأمثال العرب.

أو حتى من خلال: تبيين الأحكام الشرعية، والتعليل لبعض استعمالات الأصوليين، خلا تصحيحه بعضَ المفاهيم الشرعية المغلوطة بين المسلمين، وردِّه بعضَ الافتراءات الصادرة عن غير المسلمين.

كل ذلك .. مع ربطِ التفسير بمشاهدات الواقع الذي يعايشُه؛ والتركيزِ على علاج أمراض القلوب وآفات النفوس؛ بغرض إصلاح المجتمع المسلم.

هذا؛ وإني قد عُنِيتُ بخدمة نص هذه الرسالة وإخراجها وفق المنهج العلمي؛ وعزوتُ ما فيها من الآيات إلى سورها، وخرَّجتُ أحاديثَها وآثارَها، ونسبتُ

شِعرَها ومَثَّلها، ووثقتُ النصوصَ المنقولةَ فيها، وعلقتُ على ما يحتاج فيها إلى تعليق؛ وقد سِرتُ في ذلك كله وفق الخطة الآتية:

خطة البحث

القسم الأول: (الدراسة)؛ وفيه فصلان:

الفصل الأول: (التعريف بالمؤلف)؛ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه.

المبحث الثاني: مولده ونشأته وطلبه للعلم وأبرز شيوخه.

المبحث الثالث: أهم مؤلفاته وكتبه ورسائله.

المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه ووفاته.

الفصل الثاني: (التعريف بالرسالة)؛ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صحة نسبتها وعنوانها.

المبحث الثاني: موضوعها والباعث عليها ومنهجها ومدة تبييضها.

المبحث الثالث: وصف نسختها الخطية.

المبحث الرابع: منهجي في تحقيقها.

القسم الثاني: (النص المحقق).

فها أنا ذا أُقدِّمُ هذه الرسالةَ المباركةَ بعد أن تناولتُها بالدراسة والتحقيق؛ خدمةً لتراث هذا العالِم الجليل، وإثراءً لعلم تفسير القرآن الكريم ومريديه؛ سائلةً اللهَ ﷻ أن يجعل عملي فيها خالصًا لوجهه، نافعًا لي ولعباده في الدارين؛ إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه؛ والحمد لله أولًا وآخرًا.

د. إنعام بنت محمد مصطفى البديوي

القسم الأول: الدراسة

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف[1]

- المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه:

هو العالِم الشيخ محمد عارف بن أحمد بن سعيد بن محمد أمين المُنيِّر؛ الحموي أصلًا؛ الدمشقي مولدًا ووفاة؛ الحسيني نسبًا؛ الشافعي مذهبًا.

اشتهر بلقبه: (ابن المُنيِّر)؛ حيث قال هو عن نفسه: (المعروف كأسلافه بابن المُنَيِّر -بضمٍ وفتحٍ فكسرٍ مع تشديد-)[2].

وقد ترجم المُحبِّي (ت ١١١١هـ) لأخي جد أبيه؛ وذكر هذا اللقب المشتهر عنهم؛ فقال: (السيد محمد علي المعروف بالمُنيِّر؛ الحسيني الحموي الدمشقي الشافعي؛ الشيخ المُعمَّر؛ المُنيِّر الخَيِّر البركة؛ قطب وقته؛ كان من المُعمَّرين الأخيار؛ اتفق أهل عصره على صلاحه وديانته؛ وكان في جميع أحواله ماشيًا على نهج الكتاب والسنة ... وذكره والدي -رحمه الله- في ذيله، وأثنى عليه كثيرًا)[3].

وترجم البيطار (ت ١٣٩٦هـ) لعمه محمد؛ وذكر هذا اللقب المشتهر أيضًا؛ فقال: (الشيخ محمد بن سعيد المنير بن محمد أمين الدمشقي الشهير

---

(١) من مصادر ترجمته: منتخبات التواريخ لدمشق للحصني (٢/٧٥٦-٧٥٩)، تراجم أعيان دمشق للشطي ص (٨-١٠)، الأعلام للزركلي (٦/١٨٠)، إيضاح المكنون للبغدادي (١/٨١)، الأعلام الشرقية لزكي مجاهد (١/٣٢٠-٣٢٢)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (١٠/١١٤-١١٥)، تاريخ علماء دمشق للحافظ (١/٣٩٩)، نثر الجواهر والدرر للمرعشلي ص (٥٦٠-٥٦١).

(٢) سر الواحد الأحد لابن المُنَيِّر (المخطوط الأصل) (٢/أ).

(٣) خلاصة الأثر للمحبي (٤/٥٥).

بالمُنَيِّر؛ ولد بدمشق سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف، ونشأ بها، وأخذ العلوم عن السادة الفحول، ونال مرامه فوق المأمول)[١].

قلت: لم يذكر المترجمون له وللمشتهرين من أسلافه: السببَ في تلقيبهم بذلك؛ ولعل ذلك لشرف نسبهم، وطِيب محتدهم، وبركة طريقتهم، وصلاح أجدادهم.

- المبحث الثاني: مولده ونشأته وطلبه للعلم وأبرز شيوخه:

ولد بدمشق الشام سنة (١٢٦٤هـ)، ونشأ وترعرع فيها، وقرأ العلومَ العربيةَ على والده أحمد وعمه محمد؛ وكان أكثر انتفاعه بهما. وقرأ على الشيخ محمد الطنطاوي: (تشريحَ الأفلاك)، و(رسالةً في الدرج والدقائق)، (واللمعةَ في حل الكواكب السبعة)[٢].

وأجاز له من الأعلام: الشيخ أحمد دحلان (مفتي مكة)، والشيخ عبد الغني الدهلوي الحنفي (محدث الديار الحجازية، ونزيل المدينة المنورة)، والشيخ عبد الحميد الداغستاني الشافعي (مدرس العلوم بالحرم المكي)؛ وذلك في حجته سنة (١٢٩٤هـ). وأجاز له أيضًا: الشيخ التميمي (مفتي الحنفية بالخليل)، والشيخ أسعد غشيفين (مفتي الشافعية بالخليل)؛ وذلك حين زيارته للقدس والخليل[٣].

---

(١) حلية البشر للبيطار ص (١٣٤٦).

(٢) ينظر: الأعلام للزركلي (١٨٠/٦)، نثر الجواهر والدرر للمرعشلي ص (٥٦٠-٥٦١).

(٣) ينظر: منتخبات التواريخ لدمشق للحصني (٧٥٦/٢).

وبعد وفاة أخيه التوأم (محمد صالح)[1]: وُجِّهَت إليه إمامةُ الشافعية؛ مع تدريس كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض بالجامع الأموي[2] بدمشق؛ ورحل إلى الأستانة[3]، وقدَّم مُؤلَّفًا نفيسًا بواسطة أحد أعيان جبل لبنان إلى السلطان عبد الحميد؛ سماه: (السعادة النامية الأبدية

---

(١) تنظر ترجمته في: تراجم أعيان دمشق للشطي ص (١٠١-١٠٣)، الأعلام للزركلي (١٦٥/٦). قال الزركلي في: (١٨٠/٦): (محمد عارف هو أخو محمد صالح؛ كانا توأمين؛ وعاشا على غير وفاق) !.

(٢) جامع بني أمية الكبير؛ ويعرف اختصارًا بـ (الجامع الأموي)؛ أمر الوليد بن عبد الملك بتشييده في دمشق؛ يعد رابع أشهر المساجد الإسلامية بعد حرمي مكة المكرمة والمدينة المنورة والمسجد الأقصى؛ كما يُعد واحدًا من أعظم المساجد الإسلامية، وأحد عجائب الإسلام السبعة في العالم. بدأ بناء الجامع الأموي عام ٨٨هـ على يد الوليد بن عبد الملك، وقد حشد له صناعًا من الفرس والهنود، وأوفد إمبراطور بيزنطة مئة مختصٍّ يونانيٍّ للمشاركة في تزيينه، ونال قسطًا وافرًا من المدح والوصف لا سيما من الرحالة والمؤرخين والأدباء الذين مروا بدمشق عبر العصور. ينظر: الموسوعة الحرة (**ar.wikipedia.org**).

(٣) هي الآن مدينة إسطنبول التركية (عاصمة الخلافة العثمانية قديمًا)؛ والمعروفة تاريخيًا باسم: بيزنطة، والقسطنطينية، والأستانة، وإسلامبول؛ هي أكبر المدن في تركيا، وثاني أكبر مدينة في العالم من حيث عدد السكان؛ تقع على مضيق البوسفور، وتطوق المرفأ الطبيعي المعروف باسم: (القرن الذهبي) الواقع في شمال غرب البلاد؛ وتمتد على طول الجانب الأوروبي من المضيق، والجانب الآسيوي معًا؛ لتكون المدينة الوحيدة في العالم التي تقع على قارتين. ينظر: الموسوعة الحرة (**ar.wikipedia.org**).

في السكة الحجازية الحديدية)[١]؛ فأحسن إليه بإحدى الرتب العلمية العالية؛ وهي: (رتبة الحرمين).

- المبحث الثالث: أهم مؤلفاته وكتبه ورسائله:

عاد ابن المُنيّر إلى وطنه الشام بعد رحلته إلى الأستانة، ولازم المدرسة الإخنائية[٢] لإقراء الطلبة، وباشر التأليف في شتى العلوم والفنون[٣]؛ إذ من أهم ما ألفه من الكتب والرسائل:

في القرآن الكريم وعلومه: (هدي أهل الإيمان إلى جمع الخلفاء الراشدين القرآن)[٤]؛ و(ساطع البرهان فيما يتعلق بتلاوة القرآن)[٥]؛ و(سر الواحد الأحد في ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾)؛ وهي هذه الرسالة التي أقوم بدراستها وتحقيقها.

---

(١) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٤٣٠٣٥).

(٢) المدرسة الإخنائية: بناها القاضي شمس الدين محمد بن فخر الدين عثمان الإخنائي الشافعي؛ نسبة لـ (إخنا): بلدةٌ شرق الإسكندرية؛ وقد ولد سنة (٧٥٨هـ)، وتوفي في رجب سنة (٨١٦هـ)؛ ودُفِن في مدرسته التي اكتمل بناؤها سنة (٨٢٠هـ). وهذه المدرسة بنيت على أنقاض دار القرآن الرشائية؛ على يمين الخارج من الباب الشمالي للجامع الأموي؛ شرقي الجقمقية؛ يفصل بينهما طريق. ينظر: الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١٠/١).

(٣) ينظر: منتخبات التواريخ لدمشق للحصني (٧٥٦/٢-٧٥٧)، الأعلام الشرقية لزكي مجاهد (٣٢٠/١).

(٤) طبع في دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦م، بتحقيق: د. مصطفى عثمان محمد صميدة.

(٥) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣٤١٣٤).

وفي الحديث الشريف وعلومه: (الأحاديث المروية عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ وتخريجاتها)[1]؛ و(الذخائر الخفية في شرح حديث إنما الأعمال بالنية)[2]؛ و(الحق المبين في الأحاديث الأربعين فيمن خرج عن طاعة أمير المؤمنين وشق عصا المسلمين)[3].

وفي الفقه الشافعي: (إنباء الثقلين في رد من زعم أن الشافعي جعل للمرأة زوجين)[4]؛ و(نجاة الدارين في غسل الرجلين)[5]؛ و(رسالةٌ في أحكام الجهاد)[6].

(١) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٤٠٣٧٦).

(٢) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣٩٦٤٢).

(٣) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣٨٥٧٥).

(٤) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣١٣٩٩).

(٥) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣٩٨٧٤).

(٦) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣٣٨٥٠).

وفي السيرة النبوية: (حسن الابتهاج بالإسراء والمعراج)[١]؛ و(السبيل المقتفى للتبرك بآثار المصطفى)[٢]؛ و(سوابغ النعم في أُمِّيَّة أفضل مخلوق وأكرم)[٣].

وفي العربية وعلومها: (مفيد الطلاب إلى أركان الإعراب)[٤]؛ و(مصادر الفضائل شرح العوامل)[٥].

وفي العقيدة والرد على شبهاتها: (الحصون المنيعة في براءة عائشة باتفاق أهل السنة والشيعة)[٦]؛ (حميدية الزمان بأفضلية الرسول الأعظم على سائر الأنبياء بنص القرآن)[٧]و(أحسن الإحسان في إثبات أن المسيح إنسان)[٨]؛

---

(١) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣٣٠٨٩).

(٢) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٤٣١٥٥).

(٣) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٤٣٢٦٣).

(٤) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٢٦٨٢٩).

(٥) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٢٨٩٢١).

(٦) طبع في دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م، بتحقيق: السيد يوسف أحمد.

(٧) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣٧٥٧٧).

(٨) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٢٥٨٦٢).

و(إرشاد الحيارى في أن للآب أبًا عند النصارى)[١]؛ و(البراهين الإسلامية في الرد على النتيجة العصرية من المطارحات القرآنية للطائفة البروتستانتية)[٢]؛ و(الفروق بين كلام الخالق والمخلوق)[٣].

وفي التصوف: (أقرب القُرَب في تفريج الكُرَب)[٤]؛ و(التعوذ مما أوحاه الشيطان وأكنه للتحفظ عن خروج آدم من الجنة)[٥].

وفي الأدعية والأذكار: (مختصر مفتاح الخيرات ومجمع البركات في كيفية الصلوات على خير البريات)[٦].

- المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه ووفاته:

---

(١) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣١٣٣٠).

(٢) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣١٧٦٤).

(٣) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٢٨٩١٨).

(٤) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٢٨٩٢٠).

(٥) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٣١٨٨٤).

(٦) له مصورةٌ محفوظةٌ بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ برقم: (٢٤٧٠٤٠).

قال الحصني: (وآثاره تدل على علو مكانته في العلوم، وتضلعه في المنطوق والمفهوم؛ له اليد الطولى في فن المناظرة وفي سائر الفنون)[١].

وقال الزركلي: (فاضلٌ من فقهاء الشافعية)[٢].

وقال زكي مجاهد: (له كثيرٌ من الرسائل والكتب المفيدة)[٣].

وقال عمر كحالة: (فقيهٌ مشاركٌ في بعض العلوم)[٤].

وقال المرعشلي: (الفقيه المشارك)[٥].

وقد كانت وفاته[٦]: سنة اثنين وأربعين وثلاثمئة بعد الألف بدمشق الشام؛ عن عُمُرٍ ناهر ثمانٍ وسبعين سنة؛ وقد وقف سدًّا منيعًا في آخر عمره لرد شُبَه الفِرَق الضالة؛ وقد أعقب ولدًا أديبًا؛ اسمه: (محمد يحيى أفندي)[٧]؛ فرحم اللهُ ابنَ المُنيِّر رحمةً واسعةً.

(١) منتخبات التواريخ لدمشق للحصني (٧٥٩/٢).
(٢) الأعلام للزركلي (١٨٠/٦).
(٣) الأعلام الشرقية لزكي مجاهد (٣٢٢/١).
(٤) معجم المؤلفين لعمر كحالة (١١٥/١٠).
(٥) نثر الجواهر والدرر للمرعشلي ص (٥٦٠).
(٦) ينظر: تراجم أعيان دمشق للشطي ص (١٠)، الأعلام للزركلي (١٨٠/٦)، الأعلام الشرقية لزكي مجاهد (٣٢٢/١)، تاريخ علماء دمشق للحافظ (٣٩٩/١).
(٧) منتخبات التواريخ لدمشق للحصني (٧٥٩/٢).

الفصل الثاني: التعريف بالرسالة

- المبحث الأول: صحة نسبتها وعنوانها:

إن أعظمَ دليلٍ على صحة نسبة هذه الرسالة إلى ابن المُنيّر وصحة عنوانها: أن ابنَ المُنيّر نفسَه هو كاتبها ومؤلفها؛ وقد أرَّخها وسماها بما ارتضاه لها.

حيث قال في بدايتها: (فيقول محمد عارف -إمام السادة الشافعية وشيخ حرم جامع بني أمية في دمشق الشام المحمية بمشيئة رب البرية- ابن الشيخ أحمد، الشهير بـ (الشافعي الصغير) بين أقرانه، المعروف كأسلافه بـ (ابن المُنَيّر) ... هذه رسالةٌ أتممت صوغَها رجاءَ النفع بها؛ يومَ الأحد: رابع عشري شهر رمضان، من شهور سنة أربعٍ وثلاثين وثلاث مئةٍ وألفٍ هجرية؛ وسميتها: سر الواحد الأحد في: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾؛ قضى الحالُ الحاضرُ بوجوب تأليفها للمسلمين)[1].

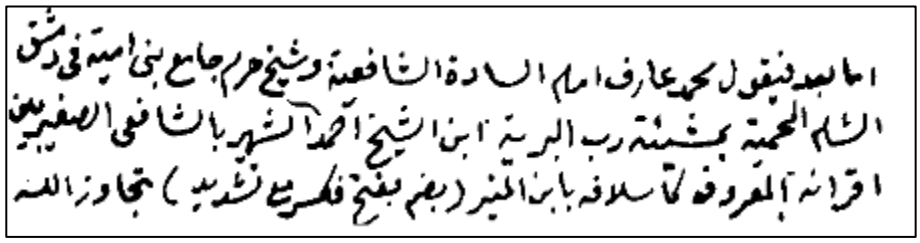

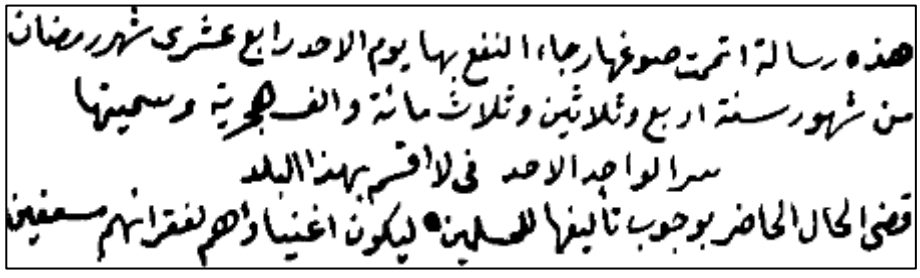

(١) سر الواحد الأحد لابن المُنَيّر (المخطوط الأصل) (٢/أ).

وقد جاء على طُرَّة غلافها بخطِّه أيضًا؛ قوله: (هذه رسالة: سر الواحد الأحد في: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾؛ تأليفُ كاتبِها/ محمد عارف المُنَيِّر الحسيني الشافعي الدمشقي؛ كان تعالى له وحفظه وولده، وأحسن إليهما، وتفضَّلَ بالعفو عليهما؛ آمين)[1].

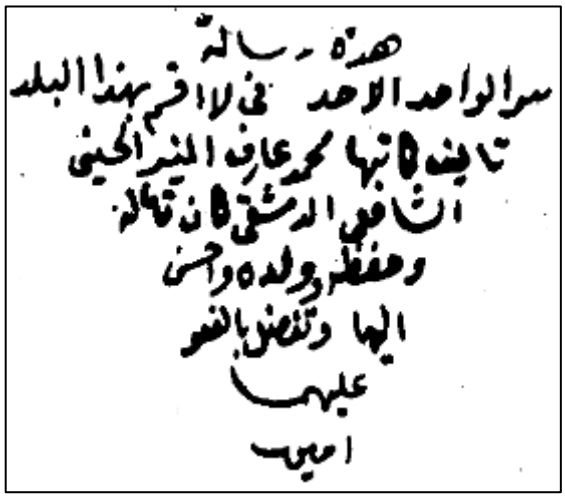

وقد جعلنا ذلك أعظمَ دليلٍ على صحة نسبتها إليه وتوثيق عنوانها: لكونه كتبها بنفسه؛ وباشر تأليفَها والتعديلَ عليها بيراعته وقلمه؛ إذ لا يسامي هذا الفعلَ أو يدانيه شيءٌ صحةً وثقةً؛ وذلك فيما نص عليه شيوخ علم تحقيق المخطوطات والعارفين بها.

قال عبد السلام هارون -شيخ المحققين في عصرنا المتأخر-: (أعلى النصوص: هي المخطوطات التي وصلت إلينا حاملةً عنوان الكتاب واسم مؤلفه؛ وجميع مادة الكتاب: على آخر صورةٍ رسمها المؤلف وكتبها بنفسه،

(١) سر الواحد الأحد لابن المُنَيِّر (المخطوط الأصل) (١/أ).

أو يكون قد أشار بكتابتها، أو أملاها، أو أجازها؛ ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها، أو إقراره لها)[1].

- المبحث الثاني: موضوعها والباعث عليها ومنهجها ومدة تبييضها:

يظهر موضوعُ هذه الرسالة من عنوانها: وهي أنها في علم تفسير القرآن الكريم؛ وأنها في تفسير سورةٍ مكيةٍ عظيمةٍ من أواسط مُفصَّلها؛ هي سورة البلد.

وهذه السورة الكريمة هدفت إلى تثبيت الإيمان بالحساب والجزاء، والتمييز بين الأبرار والفجار؛ في حُسْن ابتداءٍ بالقَسَم بالبلد الحرام؛ وفي لفتٍ لأنظار الكافرين إلى أن إيذاء الرسول ﷺ في هذا البلد من أكبر الكبائر عند الله ﷻ.

ثم تحدثت عن بعض كفار مكة الذين اغتروا بقوتهم؛ فعاندوا الحقَّ، وكذبوا رسول الله ﷺ، وأنفقوا أموالهم في المباهاة والمفاخرة؛ ظنًا منهم أن إنفاق الأموال يدفع عنهم عذاب الله ﷻ؛ وقد ردت عليهم الآياتُ بالحجة القاطعة والبرهان الساطع.

ثم تناولت أهوالَ القيامة وشدائدَها، وما يكون بين يدي الإنسان في الآخرة من مصاعبَ ومتاعبَ وعقباتٍ لا يستطيع أن يقطعَها ويجوزَها إلا بالإيمان والعمل الصالح.

وخُتِمَت السورةُ الكريمةُ بالتفريق بين المؤمنين والكفار في ذلك اليوم العصيب، وبينت مآلَ السعداء ومآلَ الأشقياء في دار الجزاء[2].

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص (٢٧).

(٢) ينظر: مصاعد النظر للبقاعي (١٩٣/٣)، في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٩٠٨/٦).

وقد ذكر ابن المُنَيِّر السببَ الباعثَ في تأليفه لتفسيرها؛ وذلك بقوله: (قضى الحالُ الحاضرُ بوجوب تأليفها للمسلمين؛ ليكون أغنياؤهم لفقرائهم مُسعِفين؛ اعتمادًا منهم على وَعدِه تعالى؛ إذ كان خَلْفُ الوعد منه مستحيلًا؛ فقال:

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[١]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[٢]؛ وليعرفوا لهم حقَّهم؛ إذ كانوا إخوتَهم، ولا يظلموهم ولا يسلموهم ولا يخذلوهم)[٣].

وقد مهَّدَ ابن المُنَيِّر لرسالته بعددٍ من المباحث الموضوعية؛ قبل أن يأتي على تفسير هذه السورة؛ وبالإمكان إجمالها فيما يأتي: (عِظَم البسملة وفضلها وخواصها)؛ و(ما جاء في الحِلْم والحِدَّة والكرم والبخل)؛ و(أسماء الله الحسنى). ثم إنه بعد تفسيره لها: أفاد بنصيحةٍ وافيةٍ في: (الصدقة والدعاء).

أما أبرز معالم منهجه في تفسيره سورةَ البلد؛ فمنها:

(أولًا): اعتمد الطريقةَ المَزْجِيَّةَ في تفسيره آياتِها؛ حيث إنه سَبَكَ ألفاظ الآيات مع تفسيرها في سياقٍ وموضعٍ واحد.

(ثانيًا): فسر الآياتِ بالمأثور كتابًا وسنةً وأثرًا؛ واعتمد الرأيَ في تعضيد ذلك.

(ثالثًا): شرَحَ غريبَ الألفاظ شرحًا موجزًا، ونبَّه على ما يقع في بعضها من إشكالٍ في المعنى.

---

(١) سورة سبأ، الآية: (٣٩).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٢٢).

(٣) سر الواحد الأحد لابن المُنَيِّر (المخطوط الأصل) (٢/أ).

(رابعًا): ضبَطَ كثيرًا من الألفاظ المُشكِلَة التي تمرُّ به كتابةً؛ دفعًا لما يتوهمه قارؤها من إرادة غيرها.

(خامسًا): بيَّنَ حدودَ ما اصطُلِحَ عليه؛ بخاصةٍ ما له حقيقةٌ في الشرع.

(سادسًا): عُنِيَ بإثبات الاختلافات الواردة في ألفاظ بعض الروايات.

(سابعًا): حكَمَ على بعض الأحاديث والآثار بالصحة والضعف، وشرَحَ بعضَها الآخر.

(ثامنًا): ساقَ عددًا من الأبيات الشعرية والأمثال السائرة؛ للدلالة على الألفاظ أو المعاني.

(تاسعًا): أتى على تبيين الأحكام الشرعية في بعض المسائل؛ مُوضِحًا مصالحَها ومقاصدَها.

(عاشرًا): علَّلَ لبعض الاستعمالات الأصولية كالعموم والخصوص، والمُجمَل والمُبيَّن، ونحوها.

(حاديَ عشر): صحَّحَ بعض المفاهيم الشرعية المغلوطة التي يقع فيها بعض أبناء المسلمين.

(ثانيَ عشر): ردَّ على بعض الافتراءات الصادرة عن خصوم الملة وأعداء الدين.

(ثالثَ عشر): أبرَزَ جانبَ مداواة النفوس ومعالجة القلوب؛ بغرض إصلاح الفرد والمجتمع المسلم.

(رابعَ عشر): ربَطَ تفسيرَه بمشاهدات واقعه، وزاد في صدق نصحه لخاصة المسلمين وعامتهم.

(خامسَ عشر): حذَّرَ من الصفات السيئة التي قد تُوقِعُ فيما حذَّرَتْ منه الآيات.

أما مدة تبييضه إياها: فقد نص في مقدمتها على التأريخ لإتمام مُسوَّدتها بقوله: (هذه رسالةٌ أتممت صوغَها رجاءَ النفع بها؛ يومَ الأحد: رابع عشري شهر رمضان، من شهور سنة أربعٍ وثلاثين وثلاث مئةٍ وألفٍ هجرية)[١]. ثم نصَّ على التأريخ للانتهاء من تبييض مُسوَّدتها بقوله: (هذا ما أراد الله تعالى إخراجَه من المُسوَّدة قبيل غروب شمس يوم الأحد: ثالث شهر صفر، عام ستٍّ وثلاثينَ وثلاثمئةٍ وألفٍ هجرية)[٢]؛ فتكون مدةُ ما بين التسويد والتبييض: سنةً وأربعةَ أشهرٍ وتسعةَ عشرَ يومًا.

- المبحث الثالث: وصف نسختها الخطية:

هذه النسخة التي بخط مؤلفها (ابنِ المُنيّر): محفوظةٌ في دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق[٣]؛ والتي سميت فيما بعد بـ: (مكتبة الأسد)؛ مصنفةٌ ضمن علوم القرآن العامة؛ وهي برقم: (١١٠٥٧)؛ والميكروفيلم المُصوِّر لها برقم: (١٩٨٦)؛ ومُصَوِّرُها اسمه: (محمد زين دحروج).

أولها: (الحمد لله الرزاق ذي القوة المتين، القائل في كتابه المجيد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾، وصلى الله تعالى وسلم على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، سيدنا محمدٍ الذي أنزل عليه: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وعلى آله وصحبه ...).

---

(١) سر الواحد الأحد لابن المُنَيّر (المخطوط الأصل) (٢/أ).

(٢) سر الواحد الأحد لابن المُنَيّر (المخطوط الأصل) (٩/أ).

(٣) ولينظر أيضًا: فهارس علوم القرآن لمخطوطات دار الكتب الظاهرية للخيمي (١٧٧/٢)؛ وقد أخطأ في بعض توصيفاته لها؛ نحو أنها بلا غلاف؛ والصحيح أنها بغلافٍ بخط المؤلف؛ ثم هو لم يذكر أكثر المعلومات التي ذكرتُها.

وآخرها: (هذا ما أراد الله تعالى إخراجَه من المُسوَّدة قبيل غروب شمس يوم الأحد: ثالث شهر صفر، عام ستٍّ وثلاثينَ وثلاثمئةٍ وألفٍ هجرية. اللهم احفظ ابني محمدًا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته، ورده سالمًا غانمًا محروسًا بعين عنايتك ...).

حالة النسخة: النسخةُ كتبها المؤلفُ بخطٍ نسخيٍّ معتادٍ صغير؛ مرقمةٌ وعلى هوامشها بعضُ استدراكاتٍ وزيادات؛ وأَرَّخَ للانتهاء من مسوَّدتها ومُبيَّضتها.

عدد الأوراق: (٩) أوراق مع الغلاف. مقاس الورقة: (٢١ × ١٣) سم. عدد الأسطر في كل ورقة: (٣٢) سطرًا غالبًا.

وهذه إشارةٌ مرجعيةٌ لأصل هذه الرسالة المحفوظة في دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق:

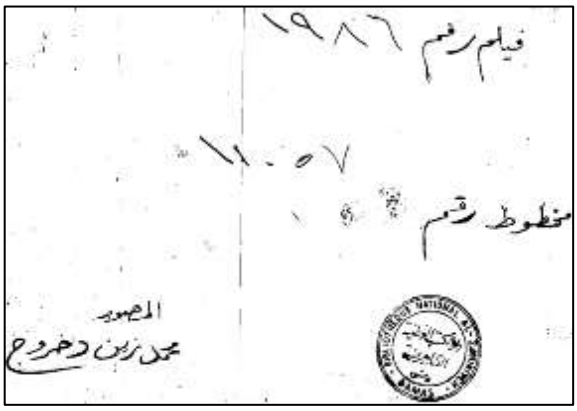

وهذه النسخة الوحيدة الفريدة هي التي سأعتمد عليها في التحقيق؛ وسأشير إليها دائمًا بقولي: (المخطوط الأصل)، أو (الأصل).

وقد تحصلتُ على مصوَّرةٍ صحيحةٍ كاملةٍ منها من خلال مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي؛ مصنفةٍ ضمن القرآن الكريم وعلومه؛ برقم: (٢٣٤٢٠١).

وقد جاء وصفُ الرسالة في فهرسهم على النحو الآتي: (سر الواحد الأحد في: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾). لمؤلفها: (المُنَيِّر؛ محمد عارف بن أحمد بن سعيد الحسيني الدمشقي الشافعي؛ ت ١٣٤٢هـ).

وهذه إشارةٌ مرجعيةٌ لمصورتها المحفوظة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي:

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة... وعطاء مستمر

[١٨٨٢] سر الواحد الأحد في لا أقسم بهذا البلد

المؤلف: المنير؛محمد عارف بن أحمد بن سعيد الحسيني الدمشقي الشافعي، ١٣٤٢هـ

الموضوع الرئيسي: علوم القرآن الكريم

رقم المادة: 234201 الخط: نسخ عدد الأوراق: 38 عدد الأسطر: 32

الجزء: تاريخ النسخ:

الناسخ:

البداية: الحمد لله الرزاق ذي القوة المتين...

ثم إن هذه الرسالةَ التي بين أيدينا لم تُدرس ولم تُحقق فيما أعلم؛ لذا رأيتُ خدمتَها بالدراسة والتحقيق؛ ومن ثم نشرها لأهل العلم للإفادة منها.

- المبحث الرابع: منهجي في تحقيقها:

انتهجتُ في تحقيقي لهذه النسخة من رسالة سر الواحد الأحد بخط مؤلفها ابن المُنَيِّر منهجًا علميًا راعيتُ فيه ما يأتي:

(١) نسختُ النصَّ وفق قواعد الإملاء الحديث؛ واستخدمتُ علاماتِ الترقيمِ الحديثةَ في ضبط فقراته؛ بحسب ما يتم به المعنى الذي أراده المؤلف.

(٢) أثبتُّ أرقام صفحات النسخة الخطية في أصل صفحات النص المحقق؛ فمثلًا: الرقم]٣/أ[يشير إلى بداية الصفحة الأولى من اللوح الثالث؛ والرقم]٣/ب[يشير إلى بداية الصفحة الثانية من اللوح ذاته؛ والعمل على هذا في سائر النص المحقق.

(٣) إذا تيقنتُ أو غلب على ظني وقوع خطأٍ في كلمةٍ ما ورادةٍ في المخطوط: فإني أصلحه في المتن، وأثبتُ الخطأ في الحاشية؛ فأقول: (في الأصل: ...).

(٤) أضفتُ ما لا يستقيم فهمُ العبارات إلا به؛ وكل ما هو على هذه الشاكلة- على قِلَّتِه-: فهو بين معقوفتين مستطيلتي الطرف: ([ ])؛ هكذا.

(٥) كتبتُ الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوتُها إلى سورها، مع ذكر أرقامها في الحواشي.

(٦) خرَّجتُ الأحاديثَ والآثارَ الواردةَ في المخطوط؛ مع الحكم عليها. فما كان في الصحيحين أو أحدهما: فإني أكتفي فيه بالعزو. وما كان في غيرهما: فإني أُخرِّجه وأعزوه إلى أمهات الكتب المسندة؛ مع نقلي الحكمَ عليه من كلام العلماء المشتغلين بالحديث وعلومه. فإن لم أجد من حكَمَ عليه: درستُ أسانيدَه وحكمتُ أنا عليه.

(٧) ترجمتُ لمن أتى المؤلفُ على ذكرهم؛ ممن هم خارجون عن دائرة الشهرة والعَلَمِيَّة؛ وذلك بأخصر عبارةٍ مُعَرِّفةٍ بهم.

(٨) وثقتُ ما ينقله المؤلفُ من عباراتٍ وأقوالٍ إلى أصحابها، وعزوتُ ذلك إلى ما وصلنا من مؤلفاتهم وشروحهم، المخطوط منها والمطبوع؛ إضافةً إلى تخريجي الشواهدَ الشعريةَ والأمثالَ السائرة.

(٩) عنونتُ بعضَ المباحث المستقلة؛ وأبرزتُها كوحداتٍ موضوعيةٍ بين معقوفتين مستطيلتي الطرف: ([ ])؛ هكذا.

(١٠) أوضحتُ ما قد يشكل من عبارات المؤلف، وعلقتُ على ما يحتاج إلى ذلك منها؛ مع مراعاة الاختصار بما يحقق الفائدة المرجوة.

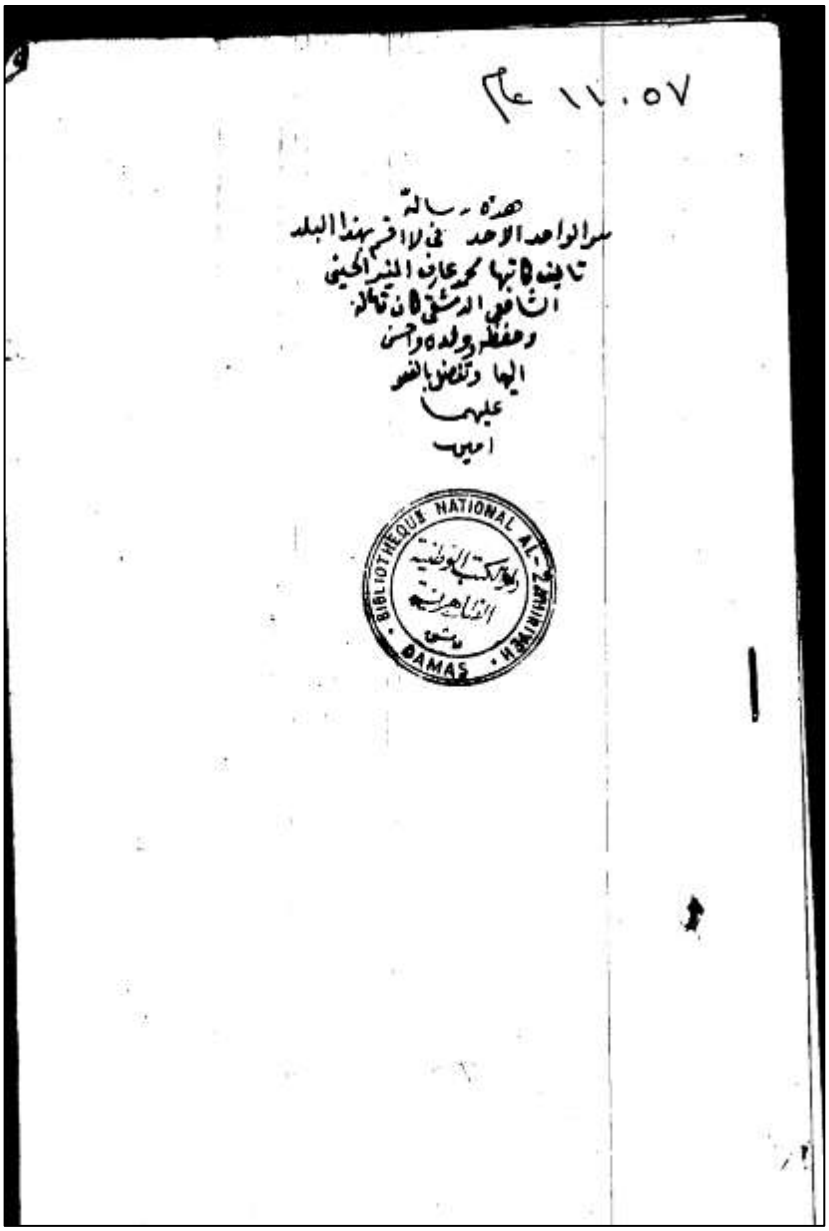

صورة لوحة غلاف النسخة الخطية

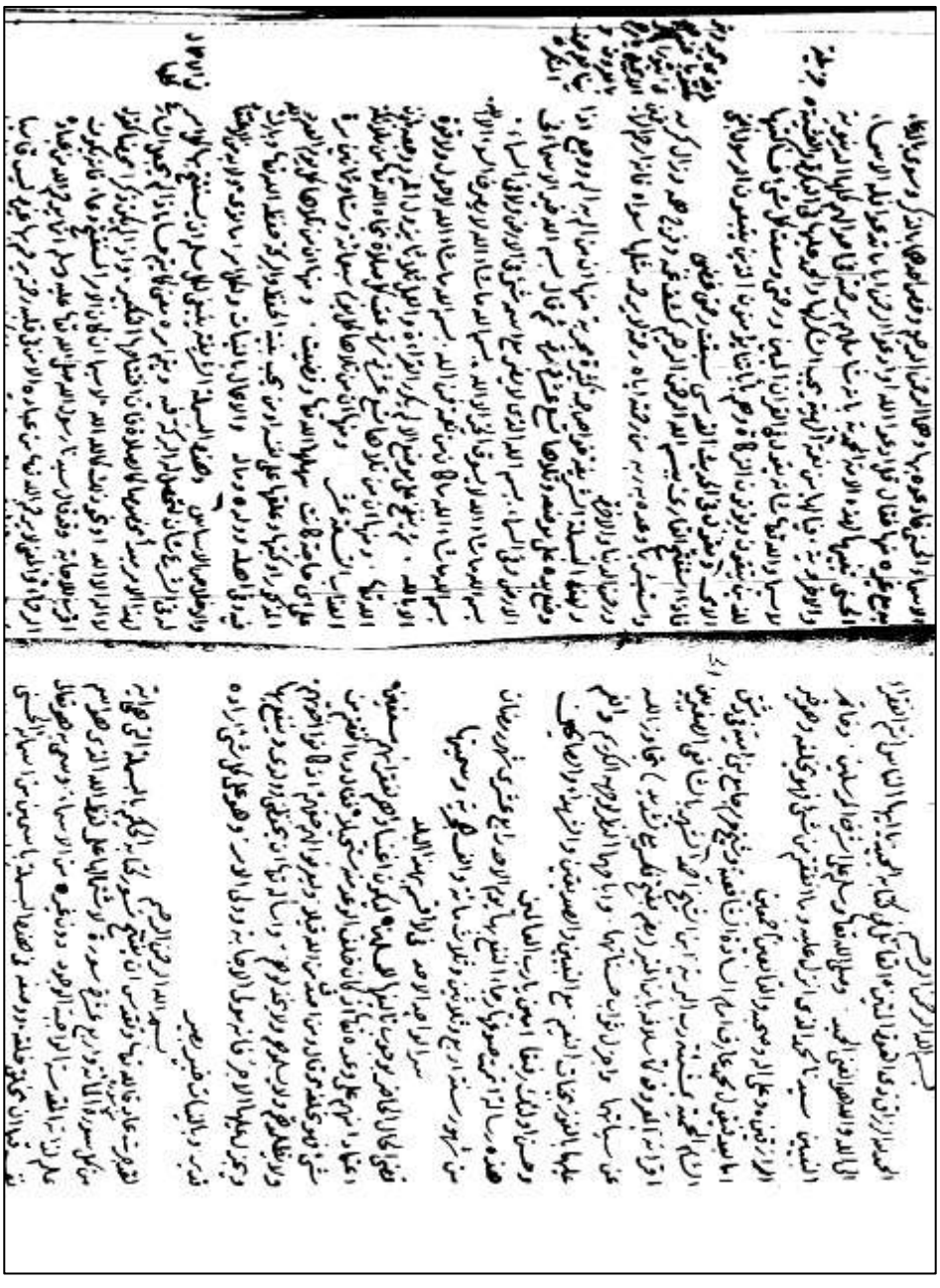

صورة لوحة بداية النسخة الخطية

صورة لوحة نهاية النسخة الخطية

[١/أ] [الغلاف]

هذه رسالة: سر الواحد الأحد في: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾(١)

تأليفُ كاتبِها/ محمد عارف المُنَيِّر الحسيني الشافعي الدمشقي

كان تعالى له وحفظه وولده، وأحسن إليهما، وتفضَّلَ بالعفو عليهما؛ آمين.

[١/أ]

[مقدمة الرسالة]

الحمد لله الرزاق ذي القوة المتين، القائل في كتابه المجيد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾(٢)، وصلى الله تعالى وسلم على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، سيدنا محمدٍ الذي أنزل عليه: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٣)، وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين؛ أما بعد ..

فيقول محمد عارف -إمام السادة الشافعية، وشيخ حرم جامع بني أمية(٤)، في دمشق الشام المحمية، بمشيئة رب البرية- ابن الشيخ أحمد، الشهير بـ (الشافعي الصغير) بين أقرانه، المعروف كأسلافه بـ (ابن المُنَيِّر) -بضمٍّ وفتحٍ فكسرٍ مع تشديد-؛ تجاوز الله عن سيئاتهما، وأجزل ثوابَ حسناتهما،

---

(١) سورة البلد، الآية: (١).

(٢) سورة فاطر، الآية: (١٥).

(٣) سورة سبأ، الآية: (٣٩).

(٤) هو الجامع الأموي الذي تقدم التعريف به في حواشي قسم الدراسة.

وأباحهما[1] النظرَ لوجهه الكريم، وأنعم عليهما بالفوز بجنات النعيم؛ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ وحَسُنَ أولئك رفيقًا؛ آمين يا رب العالمين.

هذه رسالةٌ أتممت صوغَها رجاءَ النفع بها؛ يومَ الأحد: رابع عشري شهر رمضان، من شهور سنة أربعٍ وثلاثين وثلاث مئةٍ وألفٍ هجرية؛ وسميتها: سر الواحد الأحد في: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[2]؛ قضى الحالُ الحاضرُ بوجوب تأليفها للمسلمين؛ ليكون أغنياؤهم لفقرائهم مُسعِفين؛ اعتمادًا منهم على وَعدِه تعالى؛ إذ كان خَلْفُ الوعد منه مستحيلًا[3]؛ فقال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[4]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[5]؛ وليعرفوا لهم حقَّهم؛ إذ كانوا إخوتَهم، ولا يظلموهم ولا يسلموهم ولا يخذلوهم؛ وأسأله تعالى أن يحفظني وولدي، وينفع بها ويجزل عليها الأجر؛ فإنه مولى الإجابة ووليُّ الأمر؛ وهو على كل شيءٍ أراده قدير، وبالنيات خبيرٌ بصير.

---

(١) تقول: أبحتُكَ الشيء: أحللتُه لك؛ أي: أجزتُ لك تناوله أو فعله أو تملكه؛ لا الإحلال الشرعي؛ لأن ذلك إنما هو لله ورسوله. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٧٥/٥)، تاج العروس للزبيدي (٣٢٣/٦).

(٢) سورة البلد، الآية: (١).

(٣) مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم:٤٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم:٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج:٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم:٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا﴾ [الزُّمَر:٧٤]، وقوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزَّمل:١٨].

(٤) سورة سبأ، الآية: (٣٩).

(٥) سورة النساء، الآية: (١٢٢).

[فصلٌ: في عِظَم البسملة وفضلها وخواصها]

لقد جرت عادةُ الله تعالى وتقدس أن يفتتح سورَ كتابه الحكيم بالبسملة؛ التي هي آيةٌ من كل سورةٍ من سوره المئة وأربع عشرة سورة[١]؛ لاشتمالها على لفظ الله؛ الذي هو اسمُ عَلَمٍ لذاته المقدسة الواجبة الوجود، دون غيره من الأسماء؛ وسمى به هو تعالى نفسَه قبل أن يخلق خلقَه، ووصفه في هذه البسملة باسمين من أسمائه الحسنى التسعة والتسعين[٢]؛ التي أمرنا أن ندعوه بها في محكم كتابه المبين بقوله: ﴿وَلِلَّهِ [٢/ب] ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[٣]؛ وهما: الرحمن الرحيم[٤].

وخصَّ أحدَهما بالذكر، وسوَّى بالدعاء به مع غيره منها؛ فقال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[٥]؛ تنبيهًا لهذه الأمة المحمدية بأنه شاملُهم برحمته في أحوالهم كلها؛

---

(١) قال السيوطي في الإتقان (٢٢٥/١): (أما سوره: فمئةٌ وأربعَ عشرةَ سورةٍ بإجماعِ من يعتد به. وقيل: وثلاث عشرة؛ بجعل الأنفال وبراءة سورةً واحدة). وينظر: البرهان للزركشي (٢٤٤/١).

(٢) سيأتي دليله من السنة النبوية قريبًا.

(٣) سورة الإسراء، الآية: (١٨٠).

(٤) قال ابن الأنباري في الزاهر (٥٨/١): (قال ابن عباس: الرحمن الرحيم: اسمان رقيقان؛ أحدهما أرق من الآخر؛ فالرحمن: الرقيق، والرحيم: العاطف على خلقه بالرزق. وقال أبو عبيدة: الرحمن مجازه عند العرب: ذو الرحمة، والرحيم: الراحم. قال: وربما سوَّت العربُ بين: فعلان وفعيل؛ فقالوا: ندمان ونديم. وقال قطرب: يجوز أن يكون جمع بينهما على جهة التوكيد؛ ومعناهما واحد). وينظر: المفردات للأصبهاني ص (٣٤٧)، مفردات القرآن للفراهي ص (١٨٥).

(٥) سورة الإسراء، الآية: (١١٠).

الدنيويةِ والأخروية؛ فيا لها من نعمةٍ إلهيةٍ جزيلةٍ يجب الشكرُ لها والحمدُ عليها في البكرة والعشية؛ لا سيما والله -تعالى شأنُه- يقول في القرآن المبين: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1]؛ ويقول في الحديث القدسي: (ورحمتي سبقت غضبي)[2].

فإذا استفتح القارئ بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[3]: كُشِفَ غمُّه، وفُرِّجَ همُّه، وزال كربُه، واستبشر بما وعده به ربُّه من رحمته إياه رحمةً لا يرحمه مثلُها سواه؛ فإنه أرحمُ الراحمين، ورحمنُ الدنيا والآخرة.

ولهذه البسملة الشريفة خواصٌّ جمةٌ كثيرةٌ مجربةٌ؛ منها: أنَّ مَن أَلَمَّ به ألمٌ ووجعٌ إذا وضع يدَه على موضعه وتلاها تسع عشرة مرةً، ثم قال: (بسم الله خير الأسماء في الأرض وفي السماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: (١٥٦ و١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، بابٌ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]، برقم: (٦٨٧٢)؛ قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي). وأخرجه أيضًا عن أبي هريرة ﷺ في موضعين آخرين: في كتاب التوحيد، بابٌ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٧١]. وفي كتاب التوحيد أيضًا، بابٌ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ٢٢﴾ [البروج].

(٣) سورة الفاتحة، الآية: (١). وجزء آيةٍ من سورة النمل، الآية: (٣٠).

شيءٌ في الأرض ولا في السماء، بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخيرَ إلا الله، بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوءَ إلا الله، بسم الله ما شاء الله، ما كان من نعمةٍ فمن الله، بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله)؛ ثم ينفخ على موضع الألم؛ يكرر القراءةَ والعملَ ثلاثًا؛ يزول ألمُه ووجعُه بإذن الله تعالى.

ومنها: أن من تلاها كل يومٍ سبع مئة وستًّا وثمانين مرةً على أي حاجةٍ كانت: سهلها الله تعالى وقضيت.

ومنها: أن من تلاها كل يومٍ [بـ]العدد المذكور أو كتبها وعلقها على نفسه أو من يحب؛ بنية الحفظ والبركة: حفظه الله تعالى وبارك الله فيه وفي أهله وولده وماله(١)؛ والأعمال بالنيات، ولكل امرئٍ ما نوى(٢)؛ ولا بد من الاعتقاد؛ والإخلاصُ الأساسُ في الأمور كُلِّها.

---

(١) لعل هذا الذي ذكره المؤلف هنا والذي قبله: يدخل في باب المجربات النافعة للأذكار المشروعة الصحيحة، الخالية من الشرك والطلاسم؛ وهي التي أشار إليها ابن القيم في الطب النبوي ص (١٣١) بقوله: (ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواصٌّ ومنافعُ مجربةٌ؛ فما الظن بكلام رب العالمين؛ الذي فضله على كل كلامٍ: كفضل الله على خلقه؛ الذي هو الشفاء التام، والعصمة النافعة، والنور الهادي، والرحمة العامة). وينظر: زاد المعاد له أيضًا (١٦٢/٤).

(٢) تضمينٌ من حديثٍ مشهورٍ متفقٍ عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه في ثلاثة مواضع؛ أولها: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، برقم: (١)، ومسلمٌ في صحيحه في موضعٍ واحدٍ، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنية)، برقم: (١٩٠٧)؛ كلاهما من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

وهذه البسملة الشريفة ينبغي لكل مسلمٍ أن يستفتح بها كُلَّ أمرٍ له في الشرع كان؛ لتحصلَ له البركةُ فيه، ويتمَّ أمرُه معنًى كما يتم حِسًّا؛ إذ[1] لم يجعل الشارعُ لهذا الأمر مبدأً مخصوصًا كالصلاة؛ فإن افتتاحَها التكبير؛ وإذ[2] لم يكن ذكرًا محضًا؛ كقول: (لا إله إلا الله)، أو نحو ذلك كـ (الله الله)؛ لا سيما إن كان الأمرُ المُستفتَحُ دعاءً؛ فإنه يكون أقربَ للإجابة؛ وقد قال سيدُنا رسولُ الله -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)[3]؛ والمعنى: لا يرحم الله تعالى من عباده إلا من في قلبه رحمةً

(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأةٍ ينكحها: فهجرته إلى ما هاجر إليه)؛ واللفظ للبخاري في أول مواضعه.

(١) في الأصل: (إذا).

(٢) في الأصل: (إذا).

(٣) متفقٌ عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه)، برقم: (١٢٠٤)؛ قال: حدثنا عبدان ومحمد، قالا: أخبرنا عبد الله، أخبرنا عاصم بن سليمان، عن أبي عثمان، قال: حدثني أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: إن ابنًا لي قُبِضَ فأتنا؛ فأرسل يقرئ السلام؛ ويقول: (إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجلٍ مسمى؛ فلتصبر ولتحتسب). وفي آخره: قال سعدٌ: يا رسول الله ! ما هذا ؟. فقال: (هذه رحمةٌ جعلها الله في قلوب عباده؛ وإنما يرحم الله من عباده الرحماء). وأخرجه أيضًا في ثلاثة مواضع أخرى: في كتاب الأيمان والنذور، باب قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الأنعام:١٠٩]، برقم: (٦١٦٣). وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحمن﴾ [الإسراء:١١٠]، برقم: (٦٨٢٩)، وفي كتاب التوحيد أيضًا، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِين﴾ [الأعراف:٥٦]، برقم: (٦٨٩٤). وأخرجه مسلمٌ في صحيحه أيضًا، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم: (٩٢٣).

يرحم بها غيرَه؛ ليس قاسيًا قلبُه[١]؛ قال عزَّ مِن قائل: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[٢]؛ والويلُ: وادٍ في جهنم[٣]؛ وفي الحديث [٣/أ] الصحيح أيضًا: (الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[٤]؛ وفي حديثٍ آخرَ: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)[٥].

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٧١/١٠)، فتح الباري لابن حجر (١٥٨/٣).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٢٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٤٥/٣)، غريب القرآن لابن قتيبة ص (٤).

(٤) إسناده صحيح. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، بابٌ في الرحمة، برقم: (٤٩٤١)؛ قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومسدد، قالا: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي قابوس -مولى لعبد الله بن عمرو-، عن عبد الله بن عمرو، يبلغ به النبي ﷺ: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء). قال محققه الأرنؤوط: (صحيحٌ لغيره). وأخرجه الترمذي في جامعه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، برقم: (١٩٢٤)، وقال: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيح). وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب البر والصلة، حديث عبد الله بن عمرو، برقم: (٧٢٧٤)، وصححه ووافقه الذهبي. وصححه أيضًا الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٩/٢)، برقم: (٩٢٥).

(٥) متفقٌ عليه بنحوه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحمن﴾ [الإسراء:١١٠]، برقم: (٦٨٢٨)؛ قال: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد بن وهب وأبي ظبيان، عن جرير بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس). وأخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، برقم: (٢٣١٩).

[فصلٌ: في الحِلْم والحِدَّة، والكرم والبخل]

وقد روي: (إن الله تعالى لم يأخذ فرعونَ مع منازعته له في الألوهية؛ حتى سلب منه الحلمَ والكرم)[١]؛ والحِلْم: مُلْك النفس عند الغضب[٢]؛ ومن لوازمه: التأني في الأمور، وعدم الحدة[٣] والعجلة؛ وحديث: (الحدة تعتري خيارَ أمتي) ضعيفٌ[٤]؛ وتكون غالبًا من نتائج الأمراض العصبية[٥].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ أو بنحوه.

(٢) قال الجرجاني في تعريفاته ص (٩٢): (والحِلْم: الطمأنينة عند سَوْرة الغضب. وقيل: تأخير مكافأة الظالم).

(٣) الحِدَّة: ما يعتري الإنسان من النَّزَق والغضب. ينظر: المخصص لابن سيده (٨٠/٤)، مختار الصحاح للرازي ص (٦٨).

(٤) إسناده ضعيفٌ كما قال المؤلف. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٣٧/٤)، برقم: (٢٤٥٠)؛ قال: حدثنا أبو الربيع، حدثنا سلام بن سلم الطويل، عن الفضل بن عطية، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (الحدة تعتري خيار أمتي). ومن طريقه: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٥١/١١)، برقم: (١١٣٣٢)؛ قال: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا سلام الطويل ...؛ وذكره بتمامه. قلت: وفي إسناده سلام بن سلم الطويل؛ وهو ضعيفٌ جدًّا؛ إن لم يكن متروك الحديث. ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (١٣٣/٤)، تاريخ بغداد للخطيب (١٩٤/٩)، تاريخ الإسلام للذهبي (٦٢٨/٤). قلت: وقد ضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٤٧/٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦/٨)، والسخاوي في المقاصد الحسنة ص (٣٠٣).

(٥) الأمراض العصبية: اضطراباتٌ تصيب الجهازين العصبيين المركزي والمحيطي؛ أي: الدماغ والنخاع والأعصاب وجذورها والعضلات. وتشمل تلك الاضطرابات: الصداع والصرع والخرف وغيرها. أما نتائجها النفسية:

والفرق بينها وبين سوء الخلق: أن ذا الحدة إذا عزبت[١] عنه حدتُه نَدِمَ؛ بخلاف سيء الخلق.

والعامة يسمون الحدة حمقًا؛ وليست هو؛ فإن الحمق: وضع الشيء في غير محله[٢]؛ كوضع الندى في موضع السيف وبالعكس[٣]؛ والعجلة في الأمور مذمومةٌ؛ إلا في الخير؛ والتأني ممدوحٌ مُرغَّبٌ فيه شرعًا؛ قال معلم الخير سيدنا رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (من تأنى أصاب أو

فهي الحدة واختلال التفكير والسلوك المؤدي إلى ضيق أو عجز في الوظائف. ينظر: منظمة الصحة العالمية (**www.who.int/ar**).

(١) تقول: أعزب فلانٌ حِلمَه وعقلَه؛ أي: أذهبه. وعزب عنه حلمه، أي: ذهب. عزَبَ يَعزُب عُزوبًا. وكُلُّ شيءٍ يفوتك حتى لا تقدر عليه؛ فقد عزب عنك. ينظر: العين للخليل (٣٦١/١)، تهذيب اللغة للأزهري (٨٨/٢).

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (٤٤٢/١): (وحقيقة الحمق: وضع الشيء في غير موضعه؛ مع العلم بقبحه).

(٣) تضمينٌ من بيتٍ مشهورٍ للمتنبي؛ وهو: (وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلَى * مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى). قال ابن الإفليلي في شرح معاني شعر المتنبي (٢٠١/٢): (والمعنى: ووضع العفو في موضع العقوبة، والندى في موضع السيف: مُخِلٌّ بالسيادة ومُضِرٌّ بالرئاسة؛ كما يخل بذلك وضع العقوبة في موضع العفو، ووضع الكرم في موضع السيف؛ وإنما الصواب في وضع الأشياء مواضعها). وينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي ص (٢٦٦).

كاد؛ ومن استعجل أخطأ أو كاد)[1]. ومن الحِكَم: (من استعجل بشيءٍ قبل أوانه؛ عوقب بحرمانه)[2]. والكرم:

هو البذل والعطاء[3]؛ وقد قيل:

(١) إسناده ضعيف. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣١٠/١٧)، برقم: (٨٥٨)؛ قال: حدثنا بكر بن سهل، ثنا إبراهيم بن أبي الفياض الرقي، ثنا أشهب بن عبد العزيز، عن ابن لهيعة، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: (من تأنى أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ أو كاد). وأخرجه بمثل هذا الإسناد في معجمه الأوسط (٢٥٩/٣)، برقم: (٣٠٨٢) و(٣٠٠/٣) برقم: (٣٢٢٠)؛ وقال عقيبهما: (لم يرو هذا الحديث عن عقبة بن عامر إلا مشرح، ولا عن مشرح إلا ابن لهيعة، ولا عن ابن لهيعة إلا أشهب، تفرد به إبراهيم بن أبي الفياض). قلت: والإسناد فيه بكر بن سهل -شيخ الطبراني- وهو صالحٌ مقاربُ الحال؛ ومن المحدثين من ضعَّفه كالنسائي. ينظر: لسان الميزان لابن حجر (٣٤٤/٢). وفيه أيضًا: ابن لهيعة؛ وفيه ضعفٌ معروفٌ. ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٦٦٨/٤). وفيه: إبراهيم الذي تفرد بالرواية عن أشهب؛ قال عنه أبو سعيد بن يونس: روى عن أشهب مناكير. ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٥٣/١). قلت: وقد ضعف إسناد هذا الحديث: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩/٨)، والألباني في السلسلة الضعيفة (٧٢/١٠).

(٢) بل صارت قاعدةً فقهيةً تُبنى عليها مسائلُ وفروع. فلينظر تأصيلها وما يتفرع منها في: المنثور للزركشي (٢٠٥/٣)، القواعد لابن رجب ص (٢٣٠)، الأشباه والنظائر للسيوطي ص (١٥٢)، الأشباه والنظائر لابن نجيم ص (١٣٢).

(٣) وفرَّق بعضهم بين الكرم والبذل؛ فقالوا: الكرم: الإعطاء بالسهولة وطيب النفس. وقيل: اسمٌ لجماعة الأخلاق المحمودة والأفعال المرضية إذا ظهرت بالفعل. أما البذل: فهو أن يكون مسرورًا بإعطائه. ينظر: مقاليد العلوم للسيوطي ص (٢٠٦).

لَيْسَ العَطَاءُ مِنَ الفُضُوْلِ سَمَاحَةً * حَتَّى تَجُوْدَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيْلُ[١]

وهاتان الصفتان -أعني: الحلمَ والكرم- من أعظم صفات الإنسان الحسنة التي يُغبَط عليها صاحبُها؛ والحليم يملك إربه[٢]، وذو الحدة والعجول يضيعان حقهما؛ والكريم يملك القلوب ويتحبب للناس بكرمه؛ فيحبونه ويتحببون إليه، والبخيل عدوٌّ لله، عدوٌّ للملائكة، عدوٌّ للخلق، عدوٌّ لأهله، عدوٌّ لولده، عدوٌّ لنفسه.

ومعنى كونه عدوًّا لنفسه: أنه إذا لم ينفق وهو في رغدٍ من العيش وسعةٍ من العمر، واقترب أجلُه وحانت وفاتُه: ندم على بخله وشحه؛ لا سيما إن كان ورثتُه أعداءَه، أو كان شحيحًا على نفسه لم ينفق عليها من حطامه؛ ليكون ممن خسر الدنيا والآخرة؛ وذلك هو الخسران المبين؛ والعياذ بالله تعالى؛ فهو مُحاسَبٌ يومَ القيامة بل في القبر على ما تركه، وغيرُه يتنعم به في الدنيا؛ وهذا إذا كان كسبًا طيبًا ونتاجًا حلالًا، وأدى زكاتَه التي فرضها الله تعالى عليه، وجعلها من أركان دينه الإسلام؛ فيكونَ ندمُه حينئذٍ على تقصيره بالطاعات والمثوبات.

---

(١) البيت من بحر الكامل؛ وهو لمحمد بن ظفر بن عمير المقنع الكندي (ت ٧٠هـ)؛ أحد شعراء العصر الأموي. وقد نسبه إليه غيرُ واحدٍ؛ منهم: المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ص (١٢١٧)، والتبريزي في شرح ديوان الحماسة (٣٤٣/٢)، وابن حمدون في التذكرة (٣٠٠/٢)، والسيوطي في شرح شواهد المغني (٣٧٢/١)، والبغدادي في خزانة الأدب (٣٧٠/٣).

(٢) الإرْب ها هنا: الحاجة. ينظر: شمس العلوم للحميري (٢٢٨/١)، لسان العرب لابن منظور (٢١٠/١).

أما إذا كان من سُحْت[1]: فقد قال -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (كل جسدٍ نَبَتَ من سُحْتٍ؛ فالنارُ أولى به)[2]. وأما إذا كان حلالًا طيبًا وكان هو مانعًا لزكاته أيضًا: فقد أبان جل وعلا جزاءَه العظيمَ في كتابه الحكيم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾[3]، وقال ﷻ:

---

(١) السُّحْت: كُلُّ حرامٍ قبيحِ الذكر يلزم منه العار؛ نحو: ثمن الكلب والخمر والخنزير، وعائد الربا، وأكل أموال اليتامى بالباطل. وقيل: ما لا يحل كسبُه. ينظر: العين للخليل (١٣٢/٣)، ديوان الأدب للفارابي (٢٥٩/١).

(٢) إسناده حسنٌ بنحوه. أخرجه أحمد في مسنده (٣٣٢/٢٢) برقم: (١٤٤٤١)؛ قال: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن خثيم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: (أعاذك الله من إمارة السفهاء)؛ وفي آخره: (يا كعب بن عجرة ! إنه لا يدخل الجنة لحمٌ نبت من سحت؛ النار أولى به). قال محققه الأرنؤوط: (إسناده قويٌّ على شرط مسلم؛ رجاله ثقات؛ غير ابن خثيم -وهو عبد الله بن عثمان-؛ فصدوقٌ لا بأس به). وأخرجه الترمذي في جامعه، أبواب السفر، باب ما ذكر في فضل الصلاة، برقم: (٦١٤)؛ قال: حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني الكوفي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثنا غالب أبو بشر، عن أيوب بن عائذ الطائي، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن كعب بن عجرة؛ ولفظه: (يا كعب بن عجرة ! إنه لا يربو لحمٌ نبت من سحتٍ؛ إلا كانت النار أولى به). وقال عقيبه: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه؛ لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى). وينظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٢١٢/٦-٢١٤).

(٣) سورة التوبة، الآيتان: (٣٤ و٣٥).

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٠﴾(١).

ومن أعظم القربات في الصدقات: الإنفاق في سبيل الله؛ قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ٢٢﴾(٢).

[فصلٌ: في أسماء الله الحسنى]

[٣/ب] وأما الأسماء الحسنى التي أمرنا الله تعالى أن ندعوه بها: فهي على ما روى حديثَها الإمامُ السيوطيُّ(٣)

(١) سورة الليل، الآيات: (١٤-٢٠).

(٢) سورة التوبة، الآيات: (٢٠-٢٢).

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر؛ جلال الدين السيوطي؛ إمامٌ حافظٌ مؤرخٌ أديبٌ؛ نشأ في القاهرة يتيمًا، ولما بلغ أربعين سنةً اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل؛ منزويًا عن أصحابه جميعًا، كأنه لا يعرف منهم أحدًا؛ فألف أكثر كتبه. له نحو ٦٠٠ مصنف. توفي سنة ٩١١هـ. ينظر: شذرات الذهب لابن العماد (٧٤/١٠)، الأعلام للزركلي (٣٠١/٣).

في تفسير الجلالين[1][2]، عن الإمام الترمذي[3]، عن سيدنا رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم:

(الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال

---

(١) تفسيرٌ مختصرٌ للقرآن الكريم؛ من تأليف: محمد بن أحمد جلال الدين المحلَّي (ت ٨٦٤هـ)، ومحمد بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)؛ ألف المحلِّيُّ القسمَ الأولَ منه؛ حيث بدأ من سورة الكهف حتى سورة الناس؛ إضافةً إلى سورة الفاتحة؛ ولم يتمه. فجاء السيوطي فأتمه؛ فابتدأ بتفسير سورة البقرة حتى آخر سورة الإسراء؛ فجاءت تسميته بـ (تفسير الجلالين).

(٢) تفسير الجلالين ص (٣٧٨).

(٣) هو محمد بن عيسى بن سورة؛ أبو عيسى الترمذي؛ من أئمة علماء الحديث وحفاظه من أهل ترمذ؛ تتلمذ على البخاري وشاركه في بعض شيوخه، وكان يضرب به المثل في الحفظ. من تصانيفه: الجامع أحد الكتب الستة، والشمائل النبوية، والتاريخ، والعلل. مات بترمذ سنة ٢٧٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧٠/١٣)، الأعلام للزركلي (٣٢٢/٦).

والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور)[(١)].

وفي الحديث الشريف: (إن لله تعالى تسعةً وتسعين اسمًا؛ مئةً إلا واحدًا؛

(١) إسناده ضعيف. أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات، برقم: (٣٥٠٧)؛ قال: ... فذكره بتمامه؛ ثم قال عقيبه: (هذا حديثٌ غريبٌ حدثنا به غيرُ واحدٍ عن صفوان بن صالح؛ ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح؛ وهو ثقةٌ عند أهل الحديث؛ وقد روي هذا الحديث من غير وجهٍ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كبير شيءٍ من الروايات ذكرُ الأسماء إلا في هذا الحديث. وقد روى آدم بن أبي إياس، هذا الحديث بإسنادٍ غير هذا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسنادٌ صحيحٌ). قلت: في إسناده ثلاث علل؛ خلاصتها: الاختلاف فيه والاضطراب؛ ثم تدليس أحد رواته وهو الوليد بن مسلم؛ ثم احتمال الإدراج. وقد رجح ابنُ كثيرٍ أن سردَ الأسماء مدرجٌ؛ وذلك بقوله في تفسيره (٥١٥/٣): (والذي عول عليه جماعةٌ من الحفاظ: أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرجٌ فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير؛ أنه بلغه عن غير واحدٍ من أهل العلم أنهم قالوا ذلك؛ أي: أنهم جمعوها من القرآن؛ كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد الغلوي). وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٨٢/٦): (فتعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه؛ ولكن روي في ذلك عن السلف أنواع؛ من ذلك: ما ذكره الترمذي؛ ومنها غير ذلك). قلت: وقد فصل ابنُ حجر في فتح الباري (٢١٥/١١) اختلافَ العلماء في سرد الأسماء: هل هو مرفوعٌ أم مدرجٌ في الخبر من بعض الرواة؛ فلينظر بتمامه. وقد ضعَّف الألبانيُّ هذا الحديثَ كما في السلسلة الضعيفة (٧٦/٦)، برقم: (٢٥٦٣).

من أحصاها دخل الجنة)[1]؛

أي: من حفظها عن ظهر قلب[2]. وإنما قال -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (مئةً إلا واحدًا) بعد قوله: (تسعةً وتسعين): للتنصيص على الحصر، وللاحتراز عن توهم إرادة التقريب في العدد، وعن التباس التسع والتسعين بالسبعة والسبعين؛ لتقاربهما لفظًا وخطًّا؛ كما أفاده الإمام الرافعي الكبير

(١) متفقٌ عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط، برقم: (٢٥٣١)؛ قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (إن لله تسعة وتسعين اسمًا؛ مئةً إلا واحدًا؛ من أحصاها دخل الجنة). وأخرجه في موضعٍ آخرَ: في كتاب التوحيد، باب إن لله مئةَ اسمٍ إلا واحدًا، برقم: (٦٨٤٣). وأخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم: (٢٦٧٧). قلت: وهو أول الحديث المطول السابق المخرج عن الترمذي في جامعه.

(٢) اختلفوا في معنى (أحصاها) على أربعة أوجه: أحدها: أن معنى الإحصاء: العد؛ يريد: أنه يعدها ليستوفيها حفظًا. الثاني: أن يكون الإحصاء: بمعنى الطاقة؛ كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠]؛ أي: لن تطيقوا قيام الليل. الثالث: أن يكون الإحصاء: بمعنى العقل والمعرفة؛ فيكون معناه: من عرفها وعقل معناها وآمن بها دخل الجنة؛ مأخوذٌ من الحصاة: وهو العقل. الرابع: أن يكون المراد بالحديث: من قرأ القرآن حتى يختمه؛ فيستوفي هذه الأسماء في القرآن. ينظر: كشف مشكل الصحيحين لابن الجوزي (٤٣٥/٣). قال البطليوسي في مشكلات الموطأ ص (٦٢): (وحقيقة الإحصاء: إحاطة العلم بالشيء حتى لا يشذ عنه شيء؛ وذلك مما يشق في أكثر الأمور ويتعذر؛ فضُرِبَ مثلًا في عدم الطاقة والعجز عن الشيء).

الشافعي[١][٢]؛ أحد المراد بالشيخين إذا أُطلِقَ في الفقه عند السادة الشافعية؛ كما أن المرادَ بالآخَر: الإمامُ النوويُّ[٣][٤]؛ -رضي الله تعالى عنهما-.

(١) هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم؛ أبو القاسم الرافعي القزويني؛ فقيهٌ من كبار الشافعية؛ كان له مجلسٌ بقزوين للتفسير والحديث؛ ونسبته إلى الصحابي رافع بن خديج ﷺ. من مصنفاته: التدوين في أخبار قزوين، وفتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي، وشرح مسند الشافعي. توفي سنة ٦٢٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٥٢/٢٢)، الأعلام للزركلي (٥٥/٤).

(٢) الأمالي الشارحة لمفردات الفاتحة للرافعي (٦/أ)؛ مخطوطة مكتبة الإسكوريال؛ ونص عبارته فيها: (وقوله: (مئةً إلا واحدًا) بعد قوله: (تسعةً وتسعين): توكيدٌ للعدد المذكور؛ لئلا يُتوهَّم أنه على التقريب؛ وفيه فائدة رفع الاشتباه؛ فقد يشبه في الخط: تسعة وتسعين، بسبعة وسبعين).

(٣) هو يحيى بن شرف بن مري، أبو زكريا النووي؛ علامةٌ بالفقه والحديث؛ تعلم في دمشق، وأقام بها زمنًا. من أشهر تصانيفه: تهذيب الأسماء واللغات، ومنهاج الطالبين، والمنهاج شرح مسلم، والتقريب والتيسير، ورياض الصالحين، والمجموع شرح المهذب، والتبيان، والأربعون حديثًا. توفي سنة ٦٧٦هـ. ينظر: شذرات الذهب لابن العماد (٥٥/١)، الأعلام للزركلي (١٤٩/٨).

(٤) الشيخان إذا أُطلِقا عند الشافعية: فإنه يراد بهما الإمامين الرافعي والنووي؛ كما قال المؤلف. فإن ما اتفقا عليه صار هو المعتمد في المذهب؛ ما لم يجمع المتأخرون على أنه سهوٌ منهما. فإن اختلفا: فالمعتمد ما قاله النووي. فإن وُجِدَ للرافعي ترجيحٌ دون النووي: فقول الرافعي هو المعتمد. يُنظر: سلم المتعلم المحتاج للأهدل ص (٦٥١ و٦٥٣).

[تفسير سورة البلد]

﴿لَآ﴾[١]: نافيةٌ. وقيل: غير ذلك[٢]. لكنَّ التأسيسَ خيرٌ من التأكيد[٣]، والتأكيدَ خيرٌ من الزيادة[٤] بالأَوْلى؛ سيما إذا كان لا مانعَ منه؛ بل إذا كان ما رشحه أو يرشحه من قوة المعنى كما هنا.

﴿أُقْسِمُ﴾[٥]: أحلف أنا. ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[٦]: أي: الحرام؛ الذي هو مكة.

﴿وَأَنتَ﴾[٧]: يا محمد -صلى الله تعالى عليه وسلم-. ﴿حِلٌّ﴾[٨]: -بكسر

---

(١) سورة البلد، الآية: (١).

(٢) فمما قيل: إنها زائدة. وقيل: هي بمعنى ألا. وقيل: غير زائدة. ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٤١/٥)، إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص (٨٧)، مشكل إعراب القرآن لمكي (٨١٩/٢).

(٣) وحمل الجملة على التأكيد: إنما يذهب إليه حيث لا يمكن التأسيس. ينظر: التذييل والتكميل لأبي حيان (٣٢٦/٦).

(٤) ليس ذلك على الإطلاق؛ إذ الزيادة على ضربين: زيادةٌ مبطلةٌ للعمل مع بقاء المعنى؛ وزيادةٌ لا يراد بها أكثر من التأكيد في المعنى؛ وإن كان العملُ باقيًا. ينظر: شرح المفصل لابن يعيش (٤٢٣/٤).

(٥) سورة البلد، الآية: (١).

(٦) سورة البلد، الآية: (١).

(٧) سورة البلد، الآية: (٢).

(٨) سورة البلد، الآية: (٢).

الحاء -؛ أي: حالٌّ وموجودٌ(١). ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾(٢): بل أقسم بك؛ فإن شرف المكان بالمكين(٣)، والبلد الحرام الذي هو مكة؛ ولو أن الله تعالى شرفه قبل حله -عليه الصلاة والسلام- به؛ فإنه -صلى الله تعالى عليه وسلم- أشرفُ منه؛ ولا يَحسُن بل لا ينبغي أن يُقسِمَ بالشريف مع وجود من هو أشرفُ منه؛ بل إنه -جل شأنه- إنما شرَّفَ [٤/أ] البلدَ الحرامَ لِمَا أنه سيظهَرُ منه سيدُ الوجود والأنام ويُنبَّأُ فيه ويبعثُ منه، وتكون قبلتُه في صلاته: الكعبةَ التي بناها إبراهيم وإسماعيل -عليهما الصلاة والسلام- فيها مثابةً وأمنًا، [و]كانت قبلةَ الأنبياء قبل طوفان نوحٍ من آدم إلى موسى -صلى الله تعالى عليهم وسلم-، وإليه حَجُّه وحَجُّهم، وفيه طوافُه وطوافُهم؛ كما كانت الملائكة تحج إليه وتطوف فيه قبل خلق البشر(٤)؛ وبه كان شرفه -زاده الله تشريفًا وتكريمًا-.

---

(١) وقيل: حلالٌ. ينظر: المفردات للأصبهاني ص (٢٥١)، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٥٢٠/١).

(٢) سورة البلد، الآية: (٢).

(٣) يقال: فلانٌ مكينٌ عند فلان: بيِّنُ المكانة؛ يعني: المنزلة. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٦١/١٠). قلت: والأوجه بالمقصود ها هنا من المكين: النازل بالمكان أيًّا كان؛ فيسمى: مكينًا.

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٣٧٨/١-٣٧٩): (لم يجئ في خبرٍ صحيحٍ عن معصومٍ أن البيتَ كان مبنيًّا قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله: ﴿مَكَانَ البَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]: فليس بناهضٍ ولا ظاهر؛ لأن المراد مكانه المقدر في علم الله، المقدر في قدره، المعظم عند الأنبياء موضعه؛ من لدن آدم إلى زمان إبراهيم. وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة، وأن الملائكة قالوا له: قد طفنا قبلك بهذا البيت، وأن السفينة طافت به أربعين يوما، أو نحو ذلك؛

ولذا أقسم الله تعالى به -عليه الصلاة والسلام- دون البلد الحرام؛ فإنه -صلى الله تعالى[1] [عليه وسلم] - أشرفُ منه؛ ولا ينبغي أن يقسم بالشريف مع وجود الأشرف؛ لا سيما إن كان شرفُ الشريف بالأشرف كما هنا؛ ولذا أقسم الله تعالى به دون البلد الحرام[2].

وفي سورة الحِجْر -بكسرٍ فسكون-: أقسم الله تعالى بحياته -عليه الصلاة والسلام-؛ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3]. والعَمْر -بفتح العين-؛ كالعُمْر -بضمها-: الحياة[4]. و﴿يَعْمَهُونَ﴾[5]: أي: يترددون[6]. وهذا الحلف بعمره -صلى الله تعالى عليه وسلم- أتى على عادة العرب في

ولكن كل هذه الأخبار عن بني إسرائيل؛ وقد قررنا: أنها لا تُصدَّق ولا تُكذَّب؛ فلا يحتج بها. فأما إن ردَّها الحقُّ: فهي مردودةٌ).

(١) في الأصل: (الله تعالى الله تعالى) مكررة؛ من دون: (عليه وسلم).

(٢) الصواب: أن الله ﷻ أقسم بمكة البلد الحرام؛ ثم أخبر أنه أحلها لنبيه محمدٍ ﷺ وحدَه. قال البغوي في تفسيره (٤٢٦/٨): (والمعنى: أن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها؛ فوعد نبيه ﷺ أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده، فهذا وعد من الله ﷻ بأن يحلها له).

(٣) سورة الحجر، الآية: (٧٢).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٠/٤)، المغرب للمطرزي ص (٣٢٧).

(٥) سورة الحجر، الآية: (٧٢).

(٦) ينظر: غريب القرآن للسجستاني ص (٥٠١). وحكى أهلُ اللغة: عَمِهَ يَعمَه عُمُوهًا وعَمَهًا وعَمَهَانًا؛ فهو عَمِهٌ وعَامِهٌ؛ إذا حار. ينظر: معاني القرآن للنحاس (٩٨/١)، شمس العلوم للحميري (٤٧٦٧/٧).

حلفهم بعمر الرجل العظيم فيهم[١]؛ ولا أعظم منه -عليه الصلاة [والسلام]- في الخلق العلوي والسفلي. والقصد: القسم به نفسه؛ ولم يقسم تعالى بأحدٍ غيره لا من سائر خلقه، ولا من الأنبياء والمرسلين ولا الملائكة المقربين - صلى الله تعالى وسلم عليهم أجمعين-، ولا من غيرهم[٢].

﴿وَ﴾[٣]: لا أقسم أنا. بـ ﴿وَالِدٍ﴾[٤]: وهو آدم أبو البشر عليه السلام. **﴿وَ﴾[٥]: لا بـ ﴿مَا وَلَدَ﴾[٦]: وهم ذريته؛ لكونه -صلى الله تعالى عليه وسلم- خلاصتهم وأفضلهم، ورسولًا إلى[٧] أنبيائهم ورسلهم وأئمتهم[٨]؛ كما هو صريحٌ من**

---

(١) قال ابن الأنباري في الزاهر (١/٣٩٠-٣٩١): (وإنما قالوا في القسم: لعَمْرُك، ولم يستعملوا اللغتين الأُخريين: لكثرة ما يستعملون الأقسام في الكلام؛ فاختاروا المفتوحَ للقسم؛ لأنه أخفُّ على اللسان من المضموم).

(٢) أقسم بحياته تخصيصًا له في شرفه، وتفضيلًا له على سائر البرية؛ فقال: وحياتك يا محمد إنهم لفي ضلالتهم وسكرة غفلتهم يترددون، وإنهم عن شركهم لا يقلعون. ويقال: أقسم بحياته لأنه لم يكن في وقته حياةٌ أشرفَ من حياته. ينظر: لطائف الإشارات للقشيري (٢/٢٧٧)، الوجيز للواحدي ص (٥٩٥).

(٣) سورة البلد، الآية: (٣).

(٤) سورة البلد، الآية: (٣).

(٥) سورة البلد، الآية: (٣).

(٦) سورة البلد، الآية: (٣).

(٧) في الأصل: (إليهم)؛ بدلًا من: (إلى).

(٨) فيه تفسيره خمسة أوجه: أحدها: آدم وما ولد. الثاني: أن الوالد: إبراهيم، وما ولد: ولده. الثالث: أن الوالد: هو الذي يلد، وما ولد: هو العاقر الذي لا يلد. الرابع: أن الوالد: العاقر، وما ولد: التي تلد. الخامس: أن الوالد: النبي ﷺ لتقدم ذكره، وما ولد: أُمَّتُه؛ لقوله عليه السلام: (إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم)؛ فأقسم به

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1]. والإصر -هنا-: العهد[2].

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾[3]: أي: من حيث هو، أو كل فردٍ من أفراده. واللام والجملة: جواب القسم[4]. و﴿لَقَدۡ﴾[5]: للتحقيق[6]؛ أي: خلقنا جنس الإنسان، أو كل فردٍ من أفراده؛ حتى الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- والملوك والسلاطين. ﴿فِي كَبَدٍ﴾[7] -بفتح الكاف والباء-: أي:

وبأمته بعد أن أقسم ببلده: مبالغةً في تشريفه. ينظر: النكت والعيون للماوردي (٢٧٥/٦).

(١) سورة آل عمران، الآية: (٨١).

(٢) ينظر: تفسير للطبري (١٥٨/٥)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٦/١).

(٣) سورة البلد، الآية: (٤).

(٤) قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣٢٨/٥): (هذا جواب القسم؛ والمعنى: أقسم بهذه الأشياء).

(٥) سورة البلد، الآية: (٤).

(٦) قال الأستراباذي في شرحه على كافية ابن الحاجب (١٨٦/٢): (وأما الجمع بين اللام و(قد)؛ مع أن في كليهما معنى التحقيق والتأكيد؛ فلأن (قد) يشوبها معنيان آخران؛ وهما: التقريب والتوقع؛ فلم تكن بحتًا للتحقيق). قلت: وأما هذا الموضع فهي فيه على التحقيق كما قال المؤلف لا غير؛ لسببين اجتمعا: أولهما: أنها داخلةٌ على الماضي. الثاني: أنه لم يَشُبها معنًى آخر.

(٧) سورة البلد، الآية: (٤).

تعبٍ ونصبٍ، ومشقةٍ وشدةٍ، وغمٍّ لما ما مضى، وهمٍّ لما سيأتي؛ سواءٌ من جهة الدنيا أو الآخرة أو من جهتيهما معًا؛ ولو من الموت الذي لا ينجو منه أحدٌ[١]؛ قال بعضهم:

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ * يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُوْلُ[٢]

والآلة الحدباء: هي النعش[٣]؛ الذي قيل عن لسانه في الموعظة:

انْظُرْ إِلَيَّ بِعَقْلِكْ * أَنَا المُهَيَّا لِنَقْلِكْ

أَنَا سَرِيْرُ المَنَايَا * كَمْ سَارَ مِثْلِيْ بِمِثْلِكْ[٤]

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٤١٢/٢٤)، تفسير القرطبي (٦٢/٢٠).

(٢) هو من قصيدة كعب بن زهير بن أبي سُلمى المشهورة المسماة بالبردة، والتي أنشدها بين يدي رسول الله ﷺ، ومطلعها: (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول)؛ وهي من بحر البسيط. مطبوعةٌ ضمن ديوانه ص (٦٥). وقد نسبها إليه غير واحد؛ منهم: ابن أبي الخطاب في الجمهرة ص (٦٣٨)، وأبو أحمد العسكري في المصون ص (٢٠٢)، والمرزوقي في أماليه ص (٨٤).

(٣) لكون الآلة: سرير الميت الذي يوصف بالاحديداب. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣١٧/١٥)، المحكم لابن سيده (٤٥٢/١٠)، شرح شواهد المغني للسيوطي (٥٢٤/٢)،

(٤) لم أقف عليه منسوبًا إلى قائله؛ وقد روي بلفظين: (أنا المهيَّا) و(أنا المُعَدُّ)؛ إلا أن فيه قصةً أوردها ابن تغري بردي في ترجمة بهاء الدين السبكي من المنهل الصافي (٤١٣/١) حين دخوله على برهان الدين الإبناسي يعوده؛ قال: (ثم دخل عليه السبكي بعد أيامٍ يعوده؛ فإذا به قد تناقص مرضه؛ فتحادثا ساعة؛ وكان تجاههما نعشٌ قد جُدِّدَ عملُه؛ فنظر بهاء الدين السبكي إلى النعش ثم قال للإبناسي: يا شيخ برهان الدين ! أتدري ما يقول هذا النعش؟. فقال إنه يقول: انظر إلي بعقلك * أنا المعد لحملك // أنا سرير المنايا * كم سار مثلي لمثلك). قلت: وفي بعض كتب الشروح الفقهية المتأخرة على مذهب الشافعية يوردون هذين البيتين في كتاب الجنائز بلا نسبة؛ نحو: حاشية البجيرمي على الخطيب (٢٦٤/٢)، شرح الجاوي على السفينة ص (٢٤٧).

وكون الميت يحمل على النعش: أمرًا أغلبيًّا؛ ومن غير الغالب: قد يكون فريسةً للطيور والسباع والذئاب حتى الكلاب؛ وقد يكون طعمًا للسمك؛ وإذا حُمِلَ على النعش: فمآله للدُّوْدِ [٤/ب] والتراب، والعَرْضِ والحساب. فكُلُّ إنســانٍ في كبدٍ منذ نشــأته وولادته إلى حين وفاته، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من حالاته. فإذا خرج من ضيق سجن الرحم وشقاء الطفولية ونصب الولاية(١)، وكَبِرَ وعَقَلَ واعتراه الفقر: فمآلُه معلومةٌ؛ ولو لم يكن له من نكدٍ ينغص حياتَه إلا هم المعيشــة؛ لكفاه. وفي الحديث: (كاد الفقرُ أن يكون كفرًا)(٢).

---

(١) الولاية في الاصطلاح الشرعي: سلطةٌ يثبتها الشرع لإنسانٍ معين؛ تُمكِّن من رعاية المُوْلَى عليه من نفسٍ ومال، وحفظه وتنميته بالطرق المشروعة. ينظر: الولاية على النفس للدكتور حسن الشاذلي ص (٥)، الأحوال الشخصية في التشريع الإسلامي للدكتور أحمد غندور ص (١٢١). قلت: والمقصود هنا: خروجه من سلطة غيره عليه إلى سلطة نفسه عليها.

(٢) إسناده ضعيف. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥٣/٣)؛ قال: حدثنا حبيب بن الحسن، وفاروق الخطابي، قالا: ثنا أبو مسلم الكشي، قال: ثنا أبو عاصم النبيل، قال: ثنا سفيان الثوري، عن الحجاج -يعني ابن فرافصة- عن يزيد الرقاشي، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كاد الفقرُ أن يكون كفرًا، وكاد الحسدُ أن يَغلِبَ القدر). ومن طريقه: البيهقي في شعب الإيمان (١٢/٩)؛ قال: أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، نا أحمد بن يوسف السلمي، نا محمد بن يوسف، قال: ذكر سفيان، عن الحجاج يعني ابن فرافصة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره بتمامه. قلت: وفي إسناده: يزيد بن أبان الرقاشي: ضعيفٌ. وقيل: متروك. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٨٢/٧)، الكامل لابن عدي (١٣٠/٩)، ديوان الضعفاء للذهبي ص (٤٤٠).

وأما إذا أســعده الحظُّ بالغنى: فيكون غمه وهمه من منغصــات عيشــه؛ كنظره إلى من هو أعلى منه في الرفاهية، وأوسع منه في الغنى، وكحسده لمن يتقدم عليه، واحتراســه ممن يناظره ويناديه ويطلبه للرياســة التي بها رأس كل خطيئةٍ -كما في الحديث الشــريف[1]-، وتحيُّل التاجر -إلا ممن حماه تعالى منهم وقليلٌ ما هم- في أن لا يدع ربحًا ولا فوتًا ولا رزقًا لغيره، وفي أن يجوز الدنيا بأسرها حتى لو كانت بيضةً واحدةً لشربها وحده، ولم يترك لســائر الـــــخَلَف منها ذرةً؛ وهذا ما عدا جرأتهم على نحو اليمين

(١) اشتهرت هذه العبارة على لفظين: (حب الدنيا رأس كل خطيئة) و(طلب الرياسة رأس كل خطيئة)؛ وكلاهما لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ. وقد روي وقفُ اللفظ الأول منهما على بعض الصحابة ﷺ في أسانيد لا تخلو من مقال؛ خلا أن بعض علماء الحديث قد حكموا عليه بالوضع. ينظر في ذلك: المقاصد الحسنة للسخاوي ص (٢٩٦)، كشف الخفاء للعجلوني (٣٤٦/١)، السلسلة الضعيفة للألباني (٣٧٠/٣). وقد سئل ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى عنه فأجاب في (١٢٣/١٨): (وما يروونه: (حب الدنيا رأس كل خطيئة): هذا معروفٌ عن جندب بن عبد الله البجلي. وأما عن النبي ﷺ: فليس له إسنادٌ معروف). وقال في موضعٍ آخر (١٠٧/١١-١٠٨): (ليس هذا محفوظا عن النبي ﷺ؛ ولكن هو معروفٌ عن جندب بن عبد الله البجلي من الصحابة؛ ويُذكَر عن المسيح ابن مريم عليه السلام وأكثر ما يغلو في هذا اللفظ المتفلسفة ومن حذا حذوهم من الصوفية، على أصلهم في تعلق النفس إلى أمورٍ ليس هذا موضع بسطها. وأما حكم الإسلام في ذلك: فالذي يعاقب الرجل عليه الحب الذي يستلزم المعاصي: فإنه يستلزم الظلم والكذب والفواحش؛ ولا ريب أن الحرص على المال والرئاسة يوجب هذا). قلت: وفي ذلك أنشد بعضهم: (حبُّ الرئاسة رأسُ كُلِّ خطيئةٍ * فاحذَرْ تُحِبَّ من الخطيئة راسها // كم عاشقٍ أضحى يُقبِّلُ ثغرَها * لو كان يدري بأسها ما باسها).

الفاجرة[1]؛ قال -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا؛ إلا من اتقى الله وبر وصَدَق)[2] -بتخفيف الدال المهملة-؛

(١) اليمين الفاجرة: هي الحلفُ على أمرٍ ماضٍ يتعمَّد الكذب فيه؛ فيأثم فيها صاحبها؛ وهي التي تسمى أيضًا باليمين الغموس. والفاجرة: معناها: المفجور فيها؛ أي: كذب فيها حالفُها؛ فاعلةٌ بمعنى مفعولة. ينظر: طلبة الطلبة للنسفي ص (٦٧)، التعريفات الفقهية للمجددي ص (٢٤٥)، معجم لغة الفقهاء للقلعجي والقنيبي ص (٥١٤).

(٢) إسناده حسن. أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه، أبواب البيوع، باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم، برقم: (١٢١٠)؛ قال: حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف، قال: حدثنا بشر بن المفضل، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه، عن جده أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلى، فرأى الناس يتبايعون، فقال: يا معشر التجار، فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: (إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا؛ إلا من اتقى الله وبر وصدق)، وقال عقيبه: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. ويقال: إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة أيضًا). ومن طريقه: ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب التوقي في التجارة، برقم: (٢١٤٦)؛ قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، حدثنا يحيى بن سليم الطائفي، عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه، عن جده رفاعة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ ... فذكره بتمامه. قلت: وقد ضعف إسناده الألباني فأبعد كما في ضعيف الترمذي وابن ماجه والسلسلة الضعيفة. وقد تعقبه على إسناد ابن ماجه: السكندري في التعقب المتواني (٣٥/٢) بما يدل على أنه توبع في مداره عند ابن ماجه وغيره؛ فقال: (هذا الحديث كذلك من صحاح أحاديث الطائفي وجيادها، ولا يضره رواية ابن كاسبٍ عنه؛ فقد تابعه عليه جماعةٌ من الأثبات الرفعاء: الثوري، ومعمر، وبشر بن المفضل، وإسماعيل بن علية، وإسماعيل بن زكريا، وداود العطار).

أي: في تجارته. وسماهم -صلى الله تعالى عليه وسلم- فجارًا: لما في البيع والشراء من الأيمان -بفتح الهمزة- الكاذبة والغبن[١] والتدليس[٢] والربا[٣] الذي لا يتحاشاه أكثرُهم، أو لا يفطنون له[٤].

وفي حديثٍ آخرَ عنه -عليه الصلاة والسلام-:

(١) الغبن: ما يتغابن الناس في مثله، وما يجري بينهم من الزيادة والنقصان ولا يتحرزون عنه. وما لا يتغابن الناس فيه: هو ما يتحرزون عنه من التفاوت. وأصل الغبن: الخداع. ينظر: طلبة الطلبة للنسفي ص (٦٤)، التعريفات للجرجاني ص (١٦١).

(٢) التدليس في البيع: كتمان عيب السلعة عن المشتري وإخفاؤه. وأصله: من الدَّلَس: الظلمة. والتدليس المثبت للخيار ضربان: أحدها: كتمان العيب. والثاني: تدليس يزيد به الثمن وإن لم يكن عيبًا، كتحمير وجه الجارية، وتسويد شعرها، ونحو ذلك. ينظر: المطلع للبعلي ص (٢٨٢)، التوقيف للمناوي ص (٩٣).

(٣) الربا المنهي عنه شرعًا: عقدٌ على عِوَضٍ مخصوصٍ غير معلومِ التماثل في معيار الشرع؛ حالة العقد أو مع تأخرٍ في البدلين أو أحدهما. وأصل الربا: الزيادة. ينظر: التعريفات للجرجاني ص (١٠٩)، التوقيف للمناوي ص (١٧٣).

(٤) ينظر شرحه في: الميسر للتوربشتي (٦٦٤/٢)، الكاشف للطيبي (٢١١٩/٧).

(حاسبوا السُّوقَة؛ فإنهم لا ذمةَ لهم). ويُروَى: (حاكِّوا) بكافين؛ بدل: (حاسبوا)[1]. والتجار من السُّوقَة؛ بل هم خلاصتها؛ فكلهم أهلُ سوقٍ وسوء؛ إلا من أراد الله به خيرًا كجمعيات البر والإحسان، واليتامى وإيواء الغرباء، وإطعام الطعام وتعليم الدين والقرآن؛ -أحسن الله تعالى إليهم وزاد نعمه عليهم-.

وقد أظهر الله تعالى في هذه الأعصار سرائرَ التجار -إلا الأخيار؛ وهم أندر من الكبريت الأحمر[2]-، وأبدى ما أكنوه في ضمائرهم بسبب احتكارهم؛ ولو

---

(١) لا أصل له بلفظيه مرفوعًا؛ إن لم يكن موضوعًا. وقد سئل عنه السخاوي كما في الأجوبة المرضية (٦٦٠/٢-٦٦٤)؛ فأجاب: (سئلتُ عن قوله: (حاسبوا السوقة، فإنهم لا ذمة لهم). فقلتُ: هذا الحديث لا أعرف له أصلًا ... وأما قوله: (حاسبوا): فقد سمعت شيخنا [ابن حجر] -رحمه الله- يقول: وقد سئل عنه أنه لم يقف عليه مرفوعًا؛ وإنما جاء عن سفيان أنه قال: كان يقال: (حاككوا الباعة فإنه لا ذمة لهم). وإذا علم هذا: فمن أقدم وعزا لرسول الله ﷺ ما لم يعلم؛ هل ورد عنه أم لا ؟ فهو آثمٌ مستحقٌّ الزجر عن الوقوع في ذلك، والله الموفق). قلت: وقد حكم بأنه موضوعٌ أو لا أصل له: السيوطي في الدرر المنتثرة ص (١٠٧)، والقاري في الأسرار المرفوعة ص (١٧٤)، والكرمي في الفوائد الموضوعة ص (٩٧)، والعجلوني في كشف الخفاء (٣٤٢/١)، والأمير في النخبة البهية ص (٦)، والمشيشي في اللؤلؤ المرصوع ص (٧١).

(٢) الكبريت الأحمر: قيل: هو من الحجارة المُوقَد بها. وقيل: الياقوت الأحمر. وقيل: نوعُ ذهبٍ خالص. وقيل: عينٌ تجري؛ فإذا جَمَدَ ماؤها صار كبريتًا ملونًا. ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٣٠/٥)، تاج العروس للزبيدي (٥٤/٥). قلت: ويضرب هذا المثل في ندرة الشيء؛ لقلة وجوده أو انعدامه؛ حتى قال الجوهري في الصحاح (٨٠٢/٢): وقولهم: (أعز من الكبريت الأحمر)؛ إنما هو كقولهم: (أعز من بَيْضِ الأَنُوْقِ).

نشاء لعددناهم عدًّا، ولذكرنا أسماءهم فردًا فردًا. وقد حذا حذوَهم في سيء أفعالهم وقبيح أعمالهم: غيرَهم من السوقة والباعة والعَمَلة؛ فقلدوهم في طمعهم وحيفهم؛ حتى إنهم وصلوا في بغيهم وطغيانهم إلى حدٍّ لم يكن يُتصوَّر وقوعُه من مسلم؛ بحيث صار التسعيرُ واجبًا على الحاكم؛ سواءٌ على التجار، أو من هم على شاكلتهم.

والمتزوج في كبدٍ وعناء؛ إما لعقمه وإما لنسله. فإن كان عقيمًا: تراه يتحسر دائمًا لعدم وجود من يسليه أو يعينه على نوائب الدنيا، أو يرث ماله أو يُمَرِّن ماله، أو يقوم في وظيفته أو منصبه أو مهنته من بعده، أو نحو ذلك. وإن أحسن الله تعالى إليه ووهبه أولادًا: فإن كانوا محضَ بنات: يحمل همهن إلى ما بعد الممات؛ وقد قال -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (دفن

البنات من المكرمات)[1]. وفي حديثٍ آخر: (نِعمُ الصهر القبر)[1]. وقد كانت العرب في الجاهلية قبل الإسلام يئدون البنات خوفَ إلحاقهن العارَ بهم في

(١) إسناده واهٍ جدًّا. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٢٠٣٥)؛ قال: حدثنا أحمد بن أنس بن مالك الدمشقي، وأبو عامر محمد بن إبراهيم النحوي الصوري، والحسين بن إسحاق التستري، قالوا: ثنا عبد الله بن ذكوان الدمشقي، ثنا عراك بن خالد بن يزيد بن صبيح المري، عن عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال لما عُزِّيَ رسولُ الله ﷺ بابنته رقية -امرأة عثمان بن عفان- قال: (الحمد لله؛ دفن البنات من المكرمات). وبمثل هذا الإسناد: أخرجه الطبراني أيضًا في المعجم الأوسط، برقم: (٢٢٦٣)؛ وقال عقيبه: (لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد؛ تفرد به عبد الله بن ذكوان الدمشقي). وقد أخرجه بلفظه ومن طريقه: ابن عدي في موضعين من الكامل: أولهما: في (٢٩٢/٦)؛ وقال: (وهذا لا أعلم يرويه عن عكرمة غير عطاء، وعن عطاء ابنه عثمان، وعن عثمان عراك بن خالد. وعنه عبد الله بن أحمد. وحدثنا جماعةٌ من الشيوخ عن عبد الله بن أحمد بهذا الحديث؛ إلا أنه حديثه عن عراك). الثاني: في (٤٠٦/٧)؛ وقال: (وهذا حديث عراك بن خالد المدني، عن عثمان بن عطاء. حدث به عنه: عبد الله بن ذكوان؛ سرقه منه محمد بن عبد الرحمن؛ هذا حدثناه جماعةٌ عن ابن ذكوان؛ ولم يحضرني لمحمد بن عبد الرحمن بن طلحة غير ما ذكرتُ). وقال الخليلي في المنتخب من الإرشاد (٣١٨/١): (روى بعض الكذابين عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر أن النبي ﷺ قال: (دفن البنات من المكرمات)؛ وهذا لا أصل له من حديث سفيان وغيره؛ إنما يروى عن ابن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن النبي ﷺ مرسلًا، وابن عطاء متروك). قلت: وهاتان العلتان اللتان ذكرهما الخليلي: هي السبب في تضعيف المحدثين له؛ وقد ضعفه جملةٌ منهم: كالزركشي في التذكرة ص (١٨٦)، والسخاوي في المقاصد الحسنة ص (٣٤٦)، والعجلوني في كشف الخفاء

حياتهم أو بعد مماتهم؛ قال عز من قائل: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۸ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۹﴾[٢]؛ وقد رفع هذه الخطيئةَ الفاجعةَ دينُ الإسلام[٣]. وإن كانوا ذكورًا: فقد لا يهدأ له بال، لأجلهم قطُّ في حال. وإن زوَّجَهُم تعالى ذكرانًا وإناثًا: كان أكثرَ عناءً بهم واكتراثًا. وإن كانوا من أمهاتٍ مختلفات: فمن أعظم المزعجات. [٥/أ] وإن بُلِيَ بابنةٍ واحدة: أضاع عمرَه في تربيتها وخدمتها ولا من فائدة:

بَنُوْنَا بَنُوْ أَبْنَائِنَا، وَبَنَاتُنَا * بَنُوْهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ[٤]

(٤٠٧/١)، والشوكاني في الفوائد المجموعة ص (٢٦٦)؛ وقال: (لا يصح؛ وجزم ابن حجر ببطلانه).

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ؛ والذي يغلب على الظن أنه موضوع. قال الزركشي عنه كما في التذكرة ص (١٨٦): (لم أجده بعد الكشف التام عنه؛ لكن ذكره صاحب مسند الفردوس من حديث ابن عباس: (نعم الكفؤ القبر للجارية)؛ وبيض له في المسند؛ فلم يذكر إسناده). وإلى مثله ذهب: السخاوي في المقاصد الحسنة ص (٣٤٨)، وابن المِبرَد في التخريج الصغير (١٨٤/٣)، والسيوطي في الدرر المنتثرة ص (١٩٦). وقال عنه الحوت في أسنى المطالب ص (٣٠٧): (ليس بحديث).

(٢) سورة التكوير، الآيتان: (٨ و٩).

(٣) قال القرطبي في تفسيره (٢٣٢/١٩): (كانوا يدفنون بناتهم أحياء لخصلتين: إحداهما: كانوا يقولون: إن الملائكةَ بناتُ الله؛ فألحقوا البنات به. الثانية: إما مخافة الحاجة والإملاق، وإما خوفًا من السبي والاسترقاق).

(٤) البيت من بحر الطويل؛ قيل: إنه منسوبٌ للفرزدق. والأصوب فيه: أنه على شهرته لا يُعرَف قائلُه. قال العيني في المقاصد النحوية (٥٠٣/١): (هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر. والفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث، وأن الانتساب إلى الآباء. والفقهاء كذلك في الوصية.

وإن كان له غلامٌ واحد: تفرَّس فيه أن يكون خليفتَه من بعده في أهله؛ فلا تسَلْ عما يُعلَم منه من الخوف عليه من طوارق الحِدْثان[1]، أو فقده وأن يَغرُبَ عنه؛ فلا تبحَثْ فيما يحتمله من غُربَتِه؛ هذا إذا كانت ذريتُه سعيدةً مَرضِيَّة. فإن كانت –والعياذ بالله تعالى– شقيةً: يتفاقم الخَطْب وتزداد البَلِيَّة؛ وهذا بقطع النظر عما يعانيه من العذاب الأليم؛ سواءٌ بأمراضهم وتمريضهم، أو موت بعضهم أو كلهم؛ ومن ذاق عرف؛ والعارف لا يُعرَّف.

أما إذا كانت له زوجةٌ شقيةٌ، سَلِطَةُ اللسان، مَذِرَةٌ[2] للمال، أو كانت له زوجتان أو أكثرُ لا يَفتُرْنَ عن الخصام والصراخ: فهو الموت الأحمر. فإن

وأهل المعاني والبيان في التشبيه. ولم أر أحدًا منهم عزاه إلى قائله). وقال البغدادي في خزانة الأدب (٤٤٥/١): (وهذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة). وقال شراب في شرح الشواهد الشعرية (٢٩٠/١): (نسب هذا البيت للفرزدق، وقيل: لا يعلم قائله. يريد أن يقول: بنو الأبناء كالأبناء. أما أبناء البنات: فهم غرباء. (بنونا): خبرٌ مقدمٌ. و(بنو أبنائنا): مبتدأٌ مؤخرٌ. و(بناتنا): مبتدأٌ أول. (بنوهنَّ): مبتدأٌ ثانٍ. (أبناء): خبر المبتدأ الثاني؛ وجملته: خبر المبتدأ الأول). وينظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري (١٥٤/١).

(١) تقول: حِدْثَانُ الشيء –بالكسر-: أوله؛ وهو مصدر حَدَث يَحدُث حُدُوثًا وحِدْثَانًا. والحديث: ضد القديم. ينظر: المحكم لابن سيده (٢٥٢/٣)، لسان العرب لابن منظور (١٣١/٢).

(٢) مَذِرَةٌ للمال: يعني: مُفسِدَةٌ له. تقول: مَذِرَت البيضةُ والمَعِدَةُ مَذَرًا؛ فهي مَذِرَةٌ؛ -من باب تَعِبَ-: فسدت. وأَمْذَرَتْها الدجاجةُ: أفسَدَتْها. ينظر: المصباح المنير للفيومي (٥٦٧/٢). قلت: ويصح أن تجيءَ: (مُدِرَّةٌ للمال)؛ يعني: منفقةٌ له على غير وجهه مُسرِفَةٌ فيه؛ لكن اللفظة جاءت في النسخة منقوطةً معجمةً.

زاد الاستشكاء إلى الحكام[١]: فهو الموت الأسود. وإنما ينشأ مثل هذا: من عدم تدبير الرجل وقلة عقله؛ والله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[٢]؛ وليست هذه الآيةُ المحكمةُ مما يُنقَدُ من تعدد الزوجات؛ كما يفتريه بعض أعداء الدين بما لهم من الغايات؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾[٣]؛ والمعنى: فإذا تزوجتم أكثرَ من واحدةٍ ولم تستطيعوا أن تعدلوا في المحبة -لأنها ليست في قدرتكم-: فلا تميلوا مع بعضهن كلَّ الميل؛ وهي صريحةٌ في إباحة تعدد الزوجات؛ مع خوف عدم العدل بينهن[٤].

وإن كان أهلُ الزوجية أدنياءَ: فقد أورث بَنِيهِ الذُّلَّ والحياءَ[٥] والاستحياء؛ فيقال لهم: أنتم من بني فلانة. وإن كان فيهم خَلَّةٌ ممقوتةٌ كالسُّكْر والسرقة: خِيفَ على أولئك البنين المنكودي الحظ مع العار سرقةَ الطبع من أهل أمهم؛ فيكونون مثلهم. ولذا قال معلم الخير –

---

(١) المقصود بهم هنا: القضاة الذي يحكمون ويفصلون في شؤون الناس ومظالمهم.

(٢) سورة النساء، الآية: (٣).

(٣) سورة النساء، الآية: (١٢٩).

(٤) ينظر تفسير هذه الآية الكريمة في: تفسير الطبري (٣٥٨/٦)، تفسير القرطبي (٢٠/٥).

(٥) يريد بذلك: الحياء المذموم شرعًا؛ والذي يحول بين المرء وبين فعله الخير، أو سكوته على فعل الشر.

صلى الله تعالى عليه وسلم-: (تخيروا لنطفكم؛ فإن العِرقَ دساسٌ)[1]. والزوجة كذلك تقريبًا؛ بل تكون أنكدَ عيشًا وأقلَّ حظًّا وأضيقَ صدرًا. ولنطوِ المقالَ عن التعرض لنحو [تلك] الأمراض وسوء الأخلاق والبلاء في الأعراض، الناشئ غالبًا عن التبرج والتهتك وكشف النقاب؛ فنسأل الله تعالى العافيةَ وحسنَ المآب؛ وكلامُنا فيمن له إحساسٌ وشعور؛ لا فيمن قلبُه أقسى من الأحجار الصلدة، وأصم من الصخور الصلبة.

وعلى كُلٍّ: إذا تأملنا الدنيا نجدها لا راحةَ فيها؛ وقال:

وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا * مُتَطَلِّبٌ فِي المَاءِ جَذْوَةَ نَارِ[2]

---

(١) إسناده حسن دون قوله: (فإن العرق دساس). رواه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، برقم: (١٩٦٨)؛ مختصرًا؛ قال: حدثنا عبد الله بن سعيد، قال: حدثنا الحارث بن عمران الجعفري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: (تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم). وحسن إسناده: السخاوي في المقاصد الحسنة ص (٢٥٤)، والعجلوني في كشف الخفاء (٣٠٢/١)، والألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٦٣٣/١). أما قوله: (فإن العرق دساس): فإنها زيادةٌ ضعيفة؛ قال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء ص (٤٧٩): (وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس: (تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس). وروى أبو موسى المديني في كتاب تضييع العمر والأيام من حديث ابن عمر: (وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس) وكلاهما ضعيف). قلت: وممن حكم بضعفه أيضًا: ابن الجوزي في العلل المتناهية (٦١٣/٢)، والسخاوي في المقاصد الحسنة ص (٢٥٤)، والشوكاني في الفوائد المجموعة ص (٦٢). ولينظر: الفردوس للديلمي (٥١/٢).

(٢) البيت من بحر الكامل؛ من قصيدةٍ مشهورةٍ لأبي الحسن علي بن محمد التهامي يرثي فيها ابنه؛ والتي مطلعها: (حكم المنية في البرية جار * ما هذه

وما ذكرنا: أنموذجٌ من كربات الدنيا؛ وزِدْ للمتدين كرباتٍ وهمومًا أخرى في الدنيا تتعلق بالأخرى؛ فالمتدينُ تراه دائمًا مراقبًا ربَّه، خائفًا عذابَه وعقابَه، راجيًا رحمتَه وثوابَه؛ فيتحرى أن يعبد الله تعالى كما أمرَه، وأن يجتنب نواهيَه على ما أعلمَه؛ وَجِلًا أن لا تُقبَل عبادتُه، حَذِرًا أن تُكتَب عليه سيئاتُه، مُؤمِّلًا بالعفو والغفران، لا يدري ما تؤول إليه حالتُه؛ مُسلِّطًا عليه النفسَ والهوى والشيطانَ وفرعونَ الزمان -خذلهم الله تعالى-، مسلوبَ الراحة بإيذاء الناس والجان، لا يقر له قرارٌ في ليلٍ ولا نهار؛ ولم يَصِفْ أحوالَ الدنيا أحدٌ كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(١). وقال:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيْبٌ تَكَشَّفَتْ * لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيْقِ(٢)

الدنيا بدار قرار). وقد نسبها إليه غير واحد؛ منهم: الباخرزي في دمية القصر (١٣٥/١)، والحلبي في نسيم الصبا ص (١٨)، والعاملي في الكشكول (٢٠٦/٢)، والبتلوني في نفح الأزهار ص (١٠٣).

(١) سورة الحديد، الآية: (٢٠).

(٢) البيت من بحر الطويل؛ من إنشاد أبي نُوَاس الحسن بن هانئ الحكمي. وقد نسبه إليه غير واحد؛ منهم: الجاحظ في المحاسن والأضداد ص (١٦٦)، وقال: (سمع المأمون بيت أبي نواس هذا؛ فقال: لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسها كصفة أبي نواس). وكذلك: ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٨٠٥/٢)، وابن عبد ربه في العقد (١٢٣/٣)، والآمدي في الموازنة (٥٦/٢)، والعسكري في ديوان المعاني (١٨١/٢)، والثعالبي في الإعجاز والإيجاز ص (١٥٢).

فلا أمانَ للدنيا؛ فكم أذلت عزيزًا وأعزت ذليلًا، وكم أفقرت غنيًّا وأغنت فقيرًا. ورحم اللهُ تعالى الزمخشريَّ(١) إذ يقول:

صَفَتِ الدُّنْيَا لِأَوْلَادِ الزِّنَا * وَلِمَنْ يُحْسِنُ ضَرْبًا وَغِنَا

وَهْيَ لِلْحُرِّ مُخَاضٌ كَدِرٌ * غُبِنَ الحُرُّ لَعَمْرِيْ غُبِنَا(٢)

﴿أَيَحْسَبُ﴾(٣): أي: أيخال ويظن الذي يقوى من هذا الإنسان على ظلم غيره ولو حيوانًا، وعلى الفتك به وسلب ماله، وثلم عرضه وإيذائه بغير حق. ﴿أَن﴾(٤): أي: أنه. ﴿لن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾(٥): يكف يده عنه ويمنعه منه.

---

(١) هو محمود بن عمرو بن أحمد؛ جار الله؛ أبو القاسم الزمخشري؛ إمامٌ في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسعُ العلم كبيرُ الفضل، متفننًا في علوم شتى. من أهم تصانيفه: الكشاف، والفائق، وأساس البلاغة، والمفصل. توفي سنة ٥٣٨هـ. ينظر: البلغة للفيروز آبادي ص (٢٩٠)، الأعلام للزركلي (١٧٨/٧).

(٢) البيتان من بحر الرمل. جاء في حاشية الباجوري على السنوسية ص (٤٢) أنهما منسوبان إلى الزمخشري !. لكن الصواب: أن الزمخشريَّ نفسَه أوردهما في كتابه ربيع الأبرار (٤٣٤/١)؛ فقال: (دخل يحيى بن أكثم على المأمون -وفيه بعض الرثاثة-؛ فسأله عن حاله؛ فأنشأ يقول: ...) فذكر البيتين. قلت: ثم إن هذين البيتين جاءا مسندين في كتابٍ قبل كتاب الزمخشري بأكثر من قرن؛ وهو كتاب عقلاء المجانين لأبي القاسم ابن حبيب؛ حيث قال في ص (٨٥): (أنشدني أبو عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر الأديب ببوشنج: صفت الدنيا لأولاد الزنا ...)؛ وذكرهما. فتكون هذه هي النسبة الصحيحة لهما.

(٣) سورة البلد، الآية: (٥).

(٤) سورة البلد، الآية: (٥).

(٥) سورة البلد، الآية: (٥).

وقد رأى سيدُنا رسول الله –صلى الله تعالى عليه وسلم– [٥/ب] أبا مسعودٍ[(١)] يضرب غلامًا له؛ فقال له: (اعلم يا أبا مسعودٍ أن اللهَ أقدرُ عليكَ منكَ على هذا الغلام)[(٢)]؛ فمما نُقِلَ أنه بعد ذلك [ما] ضرب غلامًا قط[(٣)]؛ وكانت [وصيتُه] تؤثر في أصحابه وأمته –صلى الله تعالى عليه وسلم–.

ويكفي الظالِمَ عظةً: أنه نفسه لا يقدر أن يدرأ الظلمَ عن نفسه إذا ظلمه من هو أقدرُ منه؛ وأنه كم من ظالمٍ كان حتفُه على يد من ظلمه؛ وقول سيدنا رسول الله البشير النذير لهذه الأمة –صلى الله تعالى عليه وسلم–: (الظالمُ سيفُ الله؛ يَنتقِم به ثم يُنتقَم منه)[(٤)]؛ وقوله –عليه الصلاة

---

(١) هو أبو مسعودٍ عقبة بن عمرو بن ثعلبة البدري؛ صحابيٌّ جليلٌ معدودٌ في علماء الصحابة ﷺ؛ ولم يشهد بدرًا على الصحيح؛ وإنما نزل ماءً ببدرٍ؛ فاشتُهِرَ بذلك. وكان ممن شهد بيعةَ العقبة، وكان شابًّا من أقران جابر في السن. روى أحاديثَ كثيرةً. والصحيح أنه مات بعد سنة ٤٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٩٣/٢)، الإصابة لابن حجر (٤٣٢/٤).

(٢) إسناده صحيح. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك، برقم: (١٦٥٩)؛ قال: حدثنا أبو كامل الجحدري، حدثنا عبد الواحد يعني ابن زياد، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: قال أبو مسعود البدري: كنتُ أضرب غلامًا لي بالسوط؛ فسمعتُ صوتًا من خلف:، (اعلم أبا مسعود)؛ فلم أفهم الصوت من الغضب؛ قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ؛ فإذا هو يقول: (اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود)؛ قال: فألقيتُ السوط من يدي، فقال: (اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام)؛ قال: فقلتُ: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

(٣) هو تتمة الحديث كما في الحاشية السابقة.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ؛ وقد قال الزركشي في التذكرة ص (١٧٤): (حديث: (الظالم عدل الله في الارض ينتقم به ثم ينتقم منه): لم أجده؛ لكن معناه

والسلام-: (إن الله ليملي للظالم؛ حتى إذا أخذه لم يفلته)[1]؛ فالله تعالى يُمهِلُ الظالمَ ولا يُهمِلُه. ويكفيه أيضًا: أنه إذا قيل له: اتق الله وكُفَّ عن

مركبٌ). قلت: لكنَّ نحوًا منه: ما أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٤٦/٣)، برقم: (٣٣٥٨)؛ قال: حدثنا جعفر بن محمد بن ماجد، قال: نا أحمد بن بكر البالسي، قال: نا عروة بن مروان العرقي، قال: نا معتمر بن سليمان، عن الحجاج بن أرطأة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ﷻ يقول: أنتقم ممن أُبغِض بمن أُبغِض؛ ثم أُصَيِّرُ كلًّا إلى النار). وقال عقيبه: (لم يرو هذا الحديث عن ابن المنكدر إلا الحجاج، ولا عن الحجاج إلا معتمر، تفرد به عروة بن مروان). قلت: إسناده ضعيفٌ؛ فيه: أحمد بن بكر البالسي؛ يروي الأحاديث المناكير عن الثقات. ينظر: الكامل لابن عدي (٣٠٨/١). وفيه: عروة بن مروان العرقي؛ قال عنه الدارقطني: كان أميًّا ليس بقوي الحديث. ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٦٤/٣). والحجاج بن أرطأة معلومٌ تدليسه عن الضعفاء. قلت: لكنَّ معنى ما أورده المؤلف -وإن لم يصح- إلا أنه يشهد له قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩].

(١) متفقٌ عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]، برقم: (٤٣١٨)، ومسلمٌ في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم: (٢٥٨٣)؛ كلاهما من حديث بريد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته). قال: ثم قرأ: (﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾)؛ واللفظ للبخاري.

ظلمك ! أخذته العزة بالإثم، وزاد في البلاد الطغيانَ والظلم[١]؛ وأن الظلمَ مذمومٌ في كل الشرائع، وأن الله تعالى مقَتَ الظالمين ولعنهم؛

وقول الله تعالي: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[٢]؛ أي: سميعًا لقول المظلوم مجيبًا لدعائه؛ ففي الحديث الشريف: (اتقوا دعوةَ المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ)[٣]. ﴿عَلِيمًا﴾[٤]؛ أي: بظلم الظالم وظُلَامة المظلوم[٥]؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٦]، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[٧]؛ وقال القائل:

---

(١) مصداقه: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦].

(٢) سورة النساء، الآية: (١٤٨).

(٣) متفقٌ عليه. أخرجه البخاري في صحيحه في أربعة مواضع؛ منها: كتاب المظالم والغصب، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، برقم: (٢٢٦٨)، ومسلمٌ في صحيحه في موضعٍ واحدٍ، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم: (١٩)؛ كلاهما من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن؛ فقال: (اتق دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)؛ واللفظ للبخاري في أخصر مواضعه.

(٤) سورة النساء، الآية: (١٤٨).

(٥) ينظر تفسير هذه الآية الكريمة في: الوسيط للواحدي (١٣٥/٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (١٣٠/٢).

(٦) سورة آل عمران، الآية: (٥).

(٧) سورة غافر، الآية: (١٩).

نَامَتْ عُيُوْنُكَ وَالْمَظْلُوْمُ مُنْتَبِهٌ * يَدْعُوْ عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ[1]

ثم اعلم أن الظالمَ كما أنه يظلم غيرَه: يظلم بظلمه هذا للغير نفسَه؛ أما ظلمُه نفسَه: فقد قال الحَكَمُ العَدْل: ﴿أَلَآ إِنَّ[2] ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾[3]؛ وقال: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[4]؛ وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[5]. وأما ظلمُه ذريتَه: فقد قال ﷻ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[6]. ومن الحِكَم -بكسرٍ ففتح؛ جمع حِكمَة-: (الظلم إن دام دمَّر، والعدل إن دام عمَّر)[7]؛ وإن دارَ الظالمين خرابٌ، وعدمَ المساواة بين المتماثلين من أعظم الظلم؛ وليس للمظلوم إذا لم يجد ناصرًا يدفع له قضيتَه فيكشف عنه ظُلَامتَه إلا الصبر؛ وقد وعد الله تعالى الصابرين بجزيل الأجر؛

(١) البيت من بحر البسيط؛ منسوبٌ إلى حفص بن غياث الكوفي؛ قاضي بغداد الثقة من أتباع التابعين؛ وفيه قصةٌ ذكرها الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء (٢٦٩/١)؛ قال: (وكان حفص بن غياث لقيه الرشيد؛ فأقبل عليه يُسائِلُه؛ فقال في أثناء ذلك: نامت عيونك والمظلوم منتبهٌ * يدعو عليك وعين الله لم تنم). ومثله في: مجاني الأدب لرزق الله شيخو (٥١/١).

(٢) في الأصل: (وإن الظالمين).

(٣) سورة الشورى، الآية: (٤٥).

(٤) سورة الإنسان، الآية: (٣١).

(٥) سورة الفرقان، الآية: (١٩).

(٦) سورة النساء، الآية: (٩).

(٧) حكمةٌ أو مَثَلٌ سائرٌ متأخرٌ لم أقف عليه في كتب الحِكَم والأمثال المتقدمة؛ وهو ذو معنًى صحيحٍ عقلًا وشرعًا.

فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١]؛ وإلا الدعاء والالتجاء لله تعالى؛ وقد وعد الله تعالى الداعين له بالإجابة؛ فقال:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٢]؛ فأشار تعالى إلى شرط إجابة الدعاء في هذه الآية الكريمة: باستجابتهم لما يأمرهم به وبإيمانهم؛ حتى إنه يجيب الدعاء وإنه لا يجيبه سواه[٣]؛ قال الرؤوف الرحيم:

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[٤]؛ وقال بعضهم:

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ * وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا[٥]

وأيُّ بابٍ أعظم من باب الله تعالى؛ إذا أدمن المظلوم قرعَه؛ أفلا يفتحه له

---

(١) سورة الزمر، الآية: (١٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٦).

(٣) قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/٣): (تناوَلَ نوعَيْ الدعاء؛ وبكُلٍّ منهما فُسِّرَت الآية. قيل: أعطيه إذا سألني؛ وقيل: أثيبه إذا عبدني. والقولان متلازمان؛ وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه؛ بل هذا استعمالٌ له في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعًا؛ فتأمله فإنه موضعٌ عظيمُ النفع؛ قَلَّ من يفطن له).

(٤) سورة النمل، الآية: (٦٢).

(٥) البيت من بحر البسيط؛ وهو من قصيدةٍ مشتهرةٍ لمحمد بن يسير الرياشي؛ مطلعها: (إن الأمورَ إذا اشتدَّتْ مسالكُهَا * فالصبرُ يَفتَحُ منها كُلَّ ما ارتُتِجَا). وقد نسبه إليه غير واحد؛ منهم: الجاحظ في البيان والتبين (٢٤٣/٢)، وابن قتيبة في عيون الأخبار (١٣٦/٣)، والتنوخي في الفرج بعد الشدة (٦٩/٥)، والتبريزي في شرح ديوان الحماسة (٣٣/٢).

ويدخله حظيرةَ[١] إجابة الدعاء؟!؛ بلى والله؛ وهل من ظلمٍ أكبر من احتكار[٢] قوت الناس وما يضطرون إليه من الأثاث واللباس؟!.

فـ ﴿يَقُولُ﴾[٣]: أي: ذلك الإنسان. ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾[٤]: أي: متلبدًا؛ والمراد: كثيرًا[٥]؛ أي: يقول ذلك تفاخرًا وتكبرًا وتعظمًا وتجبرًا. وقد يُقصَد في هذا: أنه لا غالبَ له في أمره، ولا رادعَ له عن ظلمه؛ ما دام ذا قوةٍ بماله يمكنه أن ينفق منه؛ استعانةً على بغيه وظلمه.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾[٦]: حال إهلاكه المالَ اللبدَ في سبيل النفس والهوى [٦/أ] والشيطان والظلم والطغيان، وفي سائر أحواله وشؤونه. والهمزةُ كسابقتها: للاستفهام الإنكاري[٧]؛ أي: لا يحسب ذلك -يقول الله

---

(١) الحظيرة: ما أحاط بالشيء حقيقةً؛ وهي تكون من قصبٍ وخشب. وقد تستعمل مجازًا، ويستعار منها، ويتوسع فيها. ينظر: المحكم لابن سيده (٢٨٢/٣)، لسان العرب لان منظور (٢٠٣/٤).

(٢) الاحتكار: جمع الطعام ونحوه مما يؤكل، واحتباسه وانتظار وقت الغلاء به. والاسم منه: الـحُكْرَة. ينظر: المخصص لابن سيده (٤٤٤/٣)، المغرب للمطرزي ص (١٢٤).

(٣) سورة البلد، الآية: (٦).

(٤) سورة البلد، الآية: (٦).

(٥) وأصله من التلبُّد: وهو أن يكون الشيءُ بعضه على بعض. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٥٢٨).

(٦) سورة البلد، الآية: (٧).

(٧) الاستفهام الإنكاري: ما ينكر على المخاطب المستفهم عنه؛ إنكار عقلٍ أو شرعٍ أو عرفٍ أو غيره. وله أنواعٌ تجيء بحسب المراد بالإنكار؛ إذ يكون

تعالى-؛ بل نحن نراه على ما خلقناه وابتليناه من إهلاكِه المالَ اللبدَ، وحسبانِه أنه لم يره أحدٌ؛ وهو من أعظم البلاء.

ثم أراد به العليمُ بحاله الذميم: أن يقرره في نفسه لإقامة الحجة عليه؛ فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾(١): يبصر بهما ما يضره وما ينفعه، وما يفعله وما يصنعه، وما يقي به نفسَه، وما يتقوَّى به على غيره ويدرأ شرَّه. ﴿وَ﴾(٢): ألم نجعل له. ﴿لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾(٣): تثنية شفة؛ واللسان:

واحدٌ في داخل الفم؛ والشفتان: اثنتان علوية وسفلية؛ وهما ستاران لداخل الفم(٤)؛ والعرب تقول لمن شفته العليا مشقوقة: أعلم(٥)؛ ولمن شفته السفلى مشقوقة: أفلح(٦)؛ ومشقوق الشفتين لا يمكنه النطق بالميم(٧)؛ وإلى هذا

إنكارًا يُراد به التوبيخ على أمرٍ قد مضى، أو أمرٍ قائم؛ أو إنكارًا للتكذيب ونحوه. ينظر: الكليات لأبي البقاء ص (٩٩)، معجم المصطلحات النحوية والصرفية للدكتور محمد اللبدي ص (١٨٠).

(١) سورة البلد، الآية: (٨).

(٢) سورة البلد، الآية: (٩).

(٣) سورة البلد، الآية: (٩).

(٤) ينظر: المخصص لابن سيده (١٢٣/١)، تاج العروس للزبيدي (٣٨٦/٣٨).

(٥) ينظر: العين للخليل (١٥٢/٢)، لسان العرب لابن منظور (٤١٩/١٢).

(٦) ينظر: التلخيص للعسكري ص (٥٢)، شمس العلوم للحميري (٥٢٥٥/٨).

(٧) ليس الميم فحسب؛ بل حتى الباء؛ وقد يكون الواو معها في حال انشقاق الشفتين كثيرًا وتوجعهما؛ لأن ثلاثتها تخرج من الشفتين معًا؛ فبانطباقهما: في الميم والباء؛ وانفتاحهما: في الواو؛ وانضمامهما وانطباق الشفتين في الباء؛

أشار الزمخشري[١] يندب حظَّه ويأسف لتقدم غيره عليه وتأخره عنه؛ وهو الأحقُّ بالتقدم منه؛ فقال:

وَأَخَّرَنِيْ دَهْرِيْ وَقَدَّمَ مَعْشَرًا * عَلَى أَنَّـهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ وَأَعْلَمُ
وَمُذْ أَفْلَحَ الْـجُهَّالُ أَيْقَنْتُ أَنَّنِيْ * أَنَا الْمِيْمُ وَالْأَيَّامُ أَفْلَحُ أَعْلَمُ[٢]

وخصَّ اللسانَ والشفتين بالذكر دون غيرها من أجزاء الفم: لأن بهما قوامَ عيش الإنسان؛ فلا يمكن التكلم والنطق إلا بها، ولا إساغةَ للشراب[٣] والطعام إلا بها أيضًا؛ وكذلك المحافظة على داخل الجوف من وصول مكروباتٍ وجراثيمَ[٤] مضرةٍ وحشراتٍ ودوياتٍ مؤذيات؛ وقد خصَّ الله تعالى الشفةَ

أقوى من انطباقهما في الميم. ينظر: التمهيد لابن الجزري ص (١١٣)، هداية القاري للمرصفي (٦٩/١).

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) البيتان من بحر الطويل؛ ولم أقف عليه فيما وصلنا من كتب الزمخشري؛ ورأيت النويري في نهاية الأرب (١١٠/٧) ينسبهما إليه؛ وأغلب المعاصرين ينسبون البيتين إليه ويجعلونه ضمن قصيدةٍ يكشف فيها عن مذهبه؛ مطلعها: (إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به * وأكتمه كتمانه لي أسلمُ). ورأيت أيضًا الصفدي في الوافي بالوفيات (١٧٣/٢٧) في ترجمته للقاضي هبة الله بن علي الشيرازي ينسبهما إليه؛ وقد توفي سنة ٥٢٠هـ؛ أي: قبل وفاة الزمخشري بثماني عشرة سنة؛ والله أعلم بنسبتهما.

(٣) في الأصل: (الشراب).

(٤) الميكروبات والجراثيم كلاهما بمعنًى واحدٍ عند علماء الطب (**Microbes = Germs**)؛ وهي: مجموعةٌ من الكائنات الحية الدقيقة التي لا تُرى غالبًا بالعين المجردة؛ وهي مهمةٌ بالنسبة للسلسلة الغذائية في المحيط الحيوي؛ إلا أن لبعضها القدرة على التسبب بالأمراض المستعصية والخطيرة للإنسان والحيوان والنبات؛ الأمر الذي قد يؤدي لوفاة الملايين من الكائنات

السفلى بزيادة الإحساس باللمس؛ فلا تضره زيادةُ نعومة الملموس عن غيره بحاسةٍ من حواس اللمس إلا بها؛ وبها يفرق بين ذي النعومة الزائدة عما سواه؛ وهذه الخاصية لا توجد في غيرها؛ ولذة التقبيل لا تحصل إلا بالشفتين.

والفم بدون اللسان والشفتين لا نفعَ فيه أصلًا؛ وهو للاعتبار ونحوها إليه؛ وبدون الشفتين أقبحُ منظرًا للوجه[١].

والهمزة في: ﴿أَلَمْ نَجْعَل﴾[٢]: للاستفهام التقريري[٣]؛ لكون هذا الجَعْل معروفًا محققًا عند الإنسان؛ لا بد من الإقرار[٤] به ولو في نفسه؛ أي: بأن الله ﷻ جعلها له.

الحية كل عام. ومن أنواعها: البكتيريا القديمة، البكتيريا الجديدة، الفطريات، الطحالب الميكرونية، الأوليات، الفيروسات. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣٥٨/١)، المعجم الوسيط (١١٤/١)، الموسوعة الحرة (ar.wikipedia.org).

(١) في الأصل: (الوجه).

(٢) سورة البلد، الآية: (٨).

(٣) الاستفهام التقريري: ما يوجب على المخاطب اعترافَه بأمرٍ قد استقرَّ عنده؛ لأي غرضٍ من الأغراض التي يراد لها التقرير؛ كالإدانة واللوم ونحو ذلك؛ ولا يستعمل بـ (هل). ينظر: الخصائص لابن جني (٤٦٣/٢)، الكليات لأبي البقاء ص (٩٨). قال السيوطي في الإتقان (٢٧٠/٣): (وحقيقة استفهام التقرير: أنه استفهامُ إنكارٍ؛ والإنكارُ نفيٌ؛ وقد دخل على النفي؛ ونفيُ النفيِ إثباتٌ).

(٤) في الأصل: (إلا الإقرار به)؛ وهو غلطٌ يفسد سياقَ الكلام.

﴿وَ﴾[1]: كذلك. ﴿هَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾[2]: أي: الثديين اللذين يرضع ويتغذى الطفلُ بهما[3]؛ فإن رضاعَهُ منهما بمجرد هدايته تعالى؛ لا حيلةَ وصنعَ للطفل الرضيع ولا لغيره في ذلك؛ وإن كانت المرضعُ تضع ثديَها في فم الطفل؛ فلا تأثيرَ للرضاعة في ذلك؛ فإن الطفل حينما يحس به يلتقمه ويحرك لسانَه وفكيه ويضم شفته عليه، ويمص اللبن منه بدون تعليم مخلوق؛ بل بمجرد هداية الله تعالى.

وظاهر[ه]: أن هذا كله بمجرد الهداية الإلهية؛ لا صنعَ لمخلوقٍ فيه. وأما في سائر الحيوانات ذوات الأثدية[4]: فتزيد هدايةُ الله تعالى إياها على هدايتها الثديين استدلالَ ولدها على الثدء، والتقامَه إياه بنفسه بدون واسطة أمه ولا غيرها غالبًا؛ فالحمل والجدي وأدنى منهما وأعلى منهما بمجرد

---

(١) سورة البلد، الآية: (١٠).

(٢) سورة البلد، الآية: (١٠).

(٣) على أن النجد: الثدي؛ إذ البطن تحته كالغور؛ فشُبِّه بالطريق. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٥٠/١٠)، تاج العروس للزبيدي (٢٠٥/٩). وفيه تأويلٌ آخرُ عليه جمهور المفسرين من السلف وغيرهم؛ وهو: أن النجديين: الطريقان الواضحان؛ على أن النجد: المرتفع من الأرض؛ فيكون المعنى: ألم نعرفه طريقَ الخير وطريقَ الشر بيِّنين؛ كبيان الطريقين العاليين ؟!. ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٢٩/٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٤/٥).

(٤) وتسمى في علم الحيوان المعاصر: (الحيوانات الثديية)؛ وهي: أعلى طائفة في الفقاريات من الحيوان؛ تتميز بأثداء إناثها التي ترضع لبنًا تفرزه غددها الثديية؛ كالأسود والقطط والكلاب ونحوها. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣١٣/١).

انفصاله من أمه: يتحول لجهة ثديها ويلتقمه بدو أن يهديَه إليه أحدٌ؛ بل بمجرد هدايته تعالى.

فهذه الأمور الأربعة –التي هي العينان واللسان والشفتان وهداية النجدين– : ليس[ت] للإنسان؛ بل ولا يَغُرُّه في الحصول عليها صنعٌ ولا طاقة؛ وإنما هي بمجرد التفضل الإلهي والإحسان؛ ولا مناصَ للإنسان عن الإقرار به؛ رَضِيَ أم غُبِن؛ كما أنه لا سبيلَ له إلى جحده وإنكاره؛ ولذلك أتى تعالى بهمزة الاستفهام التقريري؛ فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾(١)

الآية؛ أي: فإذا كنا خلقناه في كبدٍ وجعلنا له عينين [٦/ب] ولسانًا وشفتين وهديناه النجدين؛ أفلا نقدر عليه ونراه ؟!؛ بلى نقدر عليه ونراه؛ فكان من حقه أن يخافَنا، ولا يُهلِك أموالَه في غير مرضاتنا، ويمنع الزكاةَ التي فرضناها عليه، وأن يصَّدَّقَ على الوجه الذي ندبناه إليه؛ شكرًا على ما أوليناه من الإحسان إليه والإنعام عليه.

ثم شرع تعالى في ذكر ما ينبغي لذلك الإنسان أن يشكر به ربَّه على هذا الإحسان الذي لا يكاد غيره تعالى [...](٢) الإنسان نفسه؛ عَلِمَ ثمَّ [...](٣) مِن جَعلِه له عينين ولسانًا وشفتين، أو مِن هدايتِه النجدين.

فقال: ﴿فَلَا﴾(٤): أي: فهلَّا. ﴿ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾(٥):

---

(١) سورة البلد، الآية: (٨).

(٢) في الأصل قدر ثلاث كلماتٍ مضروبٌ عليها بالقلم؛ فلم أستطع قراءتها.

(٣) هنا في الأصل قدر كلمتين متداخلتين لم أستطع قراءتها.

(٤) سورة البلد، الآية: (١١).

(٥) سورة البلد، الآية: (١١).

والاقتحام: الهجوم على الأمر الخَطِر والصعب على[1] النفس[2]؛ كالهجوم على صف الحرب، والصبر على أذى الأعداء، ومجاهدة النفس على إسباغ الوضوء، والغسل بالماء البارد في زمان البرد القارص[3]، وعلى الصيام في شدة الحر والقيظ[4]، وقمع النفس عن فعل شهواتها المحرمة مع إمكان الوصول إليها، وترك التشفي ممن أساء: إذا قَدَرَه الله تعالى عليه وأمكَنَه منه. فالهجوم على فعل هذه وأمثالها؛ يقال له: اقتحامٌ.

والعقبة في الأصل: الطريق الوَعِر في الجبل العَسِر السلوك[5]. والمراد به هنا: الأمر الصعب مناله على النفوس؛ لكونها مبنيةً على البخل والشح؛ إلا من أراد الله تعالى به خيرًا من الأزل، وفلاحًا في العمل؛ قال عز من قائل: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن

---

(١) في الأصل: (ولو على النفس)؛ بزيادة: (ولو).

(٢) افتعالٌ من قَحَم الرجل يَقحُم قُحُومًا واقتَحَم؛ وهو رميُه بنفسه في نهرٍ أو وَهْدةٍ أو في أمرٍ من غير رَوِيَّة. ينظر: العين للخليل (٥٤/٣)، تاج العروس للزبيدي (٢٢٨/٣٣).

(٣) يصح بالصاد والسين معًا. قال الزبيدي في تاج العروس (٩٤/١٨): (وقرَصَه البردُ، وبَردٌ قارصٌ. وقرَّصَ الماءَ: برَّدَه). وقال أيضًا في: (٣٦٣/١٦): (قرَسَ البردُ: إذا اشتد).

(٤) القيظ: الفصل الذي تسميه العامة الصيف. وقيل: شدة الحرارة مطلقًا. ينظر: ديوان الأدب للفارابي (٣٠٤/٣)، تهذيب اللغة للأزهري (٢٠١/٩).

(٥) ينظر: الصحاح للجوهري (١٨٥/١)، شمس العلوم للحميري (٤٦٤٨/٧).

تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[١]، وقال عز شأنه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

والقصد بقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾[٣] -والله تعالى أعلم-: التحضيض لاقتحامها؛ وهو طلب الفعل بِحَثٍّ وإزعاج[٤]. والمعنى: فهلَّا اقتحم العقبة ؟!.

ثم إنه تعالى أبان المرادَ بالعقبة التي حضَّ الإنسانَ على اقتحامها؛ مُعظِّمًا أمرَها وقدرَها وجزاءَ ها في الدنيا والآخرة؛ بطريق الاستفهام التعظيمي[٥]؛ وأنه ليس مرادَه بها: الطريقُ الوَعِرُ في الجبل العَسِر السلوك؛ فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾[٦]: أي: أعلَمَكَ يا محمد -صلى الله تعالى عليه وسلم-. ﴿مَا﴾[٧]: هي. ﴿ٱلْعَقَبَةُ﴾[٨]: والمعنى: أيُّ شيءٍ أعلَمَكَ ما حقيقتها التي هي أمران ؟!.

---

(١) سورة محمد، الآية: (٣٨).

(٢) سورة الحشر، الآية: (٩). وسورة التغابن، الآية: (١٦).

(٣) سورة البلد، الآية: (١١).

(٤) قال أبو حيان في البحر المحيط (٤٨٢/١٠): (والعقبةُ استعارةٌ لهذا العمل الشاق على النفس؛ من حيث هو بذلُ مال؛ تشبيهٌ بعقبة الجبل؛ وهو ما صَعُبَ منه وكان صعودًا؛ فإنه يلحقه مشقةٌ في سلوكها).

(٥) الاستفهام التعظيمي: ما يُقصَد فيه تعظيم المسؤول عنه والتهويل بشأنه؛ حقيقةً أو مجازًا. ولينظر تفصيل ذلك في مبحث: (مجيء الجملة الاستفهامية للتعظيم) من أمالي ابن الحاجب (٢٢١/١).

(٦) سورة البلد، الآية: (١٢).

(٧) سورة البلد، الآية: (١٢).

(٨) سورة البلد، الآية: (١٢).

فذكر الأول منهما بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾(١): من قَيد الأَسْر وغُلِّ الرِّق. والقصد: إطلاق الأسير من يد الأعداء، وإعتاق الرفيق من سيده؛ أي: مالكه. ولم يقيد تعالى هنا الرقبةَ بالمؤمنة؛ كما قيدها في كفارة القتل؛ بقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾(٢)؛ لكون عتق الرقبة المؤمنة فرضًا؛ ابتداءً في كفارة القتل، ومثلها في كفارة الظهار ووطء الصائم في الفرج في نهار رمضان؛ عامدًا عالِمًا بالتحريم. وفرضًا أيضًا -على التخيير- في كفارة اليمين؛ حملًا للمطلق منها على المقيد(٣)؛ لأنها من جنسٍ واحدٍ -بخلاف العتق هنا-؛ فإنه ليس عن كفارةٍ أصلًا، وليس بفرضٍ ولا واجب؛ وإنما هو مجردُ قربةٍ لله تعالى. فلو أعتق في إحدى الكفارات رقبةً غيرَ مؤمنةٍ: لم تسقط الكفارة؛ وتبقى مستمرةً في الذمة مع وجود الرقبة المؤمنة. فإن عُدِمَت الرقبةُ المؤمنة:

---

(١) سورة البلد، الآية: (١٣).

(٢) سورة النساء، الآية: (٩٢).

(٣) هذا من الشيوع البدلي؛ فقول الله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:١٣]: مطلقٌ يتناول الرقاب الموجودة في الدنيا؛ سواءٌ أكانت مؤمنةً أم كافرةً؛ وللمكلف أن يعتق واحدةً منها؛ وبذلك يخرج من عهدة التكليف؛ لكن في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]: قد جاء المطلقُ مقترنًا بما يقلل من ذلك الشيوع؛ لأن المأمورَ به تحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ؛ لا يُجدِي تحرير غيرها للخروج من عهدة التكليف؛ بينما كان المطلقُ قبل التقييد مُجزِّئًا بإعتاق أي رقبة. ينظر تفصيل ذلك في: المطلق والمقيد للدكتور حمد الصاعدي ص (١٢٥-١٢٦).

انتقل المُكفِّر إلى صيام شهرين متتابعين. فإن عجز عن صومها: انتقل إلى إطعام ستين مسكينًا -بخلافه هنا-؛ فإن في إعتاق غير المؤمنة أجرًا أيضًا؛ لكنَّ إعتاقَ المؤمنة أفضلُ؛ فيكون الأجرُ أكثر(١).

قال -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (أيما رجلٍ أعتق امرًا مسلمًا؛ استنقذ الله بكل عضوٍ منه عضوًا منه من النار؛ حتى الفَرْج بالفَرْج)(٢) **-بسكون الراء فيهما-. وقد أمر -صلى الله تعالى عليه وسلم- بفك الأسير: روى البخاريُّ في صحيحه أيضًا عنه -صلى الله تعالى عليه [٧/أ] وسلم- أنه قال: (فكوا العاني، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض)**(٣)**. والعاني: الأسير**

---

(١) قال القرطبي في تفسيره (٢٠/٦٨-٦٩): (قال أصبغ: الرقبة الكافرة ذات الثمن أفضل في العتق من الرقبة المؤمنة القليلة الثمن؛ لقول النبي ﷺ وقد سئل أي الرقاب أفضل ؟. قال: (أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها. والمراد في هذا الحديث: من المسلمين؛ بدليل قوله ﷺ: (من أعتق امرًا مسلمًا)، و(من أعتق رقبةً مؤمنةً). وما ذكره أصبغُ وهلةٌ؛ وإنما نظر إلى تنقيص المال، والنظر إلى تجريد المعتق للعبادة، وتفريغه للتوحيد أولى). وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٤٨٥).

(٢) متفقٌ عليه دون قوله: (حتى الفرج بالفرج). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، بابٌ في العتق وفضله، برقم: (٢٣٣٣)، ومسلمٌ في صحيحه، كتاب العتق، باب فضل العتق، برقم: (١٥٠٩)؛ من حديث سعيد بن مرجانة، قال: قال لي أبو هريرة ﷺ: قال النبي ﷺ: (أيما رجلٍ أعتق امرأً مسلمًا: استنقذ الله بكل عضوٍ منه عضوًا منه من النار). قلت: وقد صحت زيادة: (حتى الفرج بالفرج)؛ كما في مستخرج أبي عوانة على صحيح مسلم (٣/٢٤٢)؛ برقم: (٤٨٢٧)؛ وهو من صحيح الزيادات.

(٣) إسناده صحيح. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، برقم: (٢٨١٩)؛ قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن

-كما في البخاري[1]-؛ والقول فيه كالقول في فك الرقبة؛ إلا أنه إذا كان في فك الأسير مصلحةٌ يجب على الأمير فَكَّه. ثم إذا اجتمع رِقٌّ وأسرٌ ولا إمكانَ إلا لفك أحدهما: فهل يُقدَّم فكُّ الأسير أو فكُّ الرقيق ؟. والذي يظهر: أنه يُقدَّم فكُّ ذي الضرر الأكثر منهما؛ كما أنه يُقدَّم فكُّ الأسير المسلم من يد الكفار، على فك الأسير المسلم من يد المسلمين؛ والرقيقُ كالأسير في ذلك.

وذكر الأمر الثاني منهما بقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾[2]: أي: مجاعةٍ مع تعب[3]. والمراد: شدة الجوع.

منصور، عن أبي وائل، عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (فكوا العاني -يعني الأسير-، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض). وأخرجه في موضعين آخرين دون بيان معنى العاني: الأول: في كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة، برقم: (٤٧٧٦). الثاني: في كتاب الأحكام، باب إجابة الحاكم الدعوة، برقم: (٦٦٣٨).

(١) كما في الحاشية السابقة. قال ابن حجر في فتح الباري (١٦٧/٦): (كذا وقع في تفسير العاني في الحديث؛ وهو بالمهملة والنون -وزن القاضي-؛ والتفسير من قبل جرير أو قتيبة).

(٢) سورة البلد، الآية: (١٤).

(٣) فالسغب: الجوع. والساغب: الجائع. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٥٢٨).

ويقال أيضًا: مخمصة(١).

﴿يَتِيمًا﴾(٢): وهو الذي لا أبَ(٣) له. ومثلُه: كُلُّ من لا كافلَ له ينفق عليه ويطعمه. ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾(٤): أي: صاحب قرابةٍ من الذي يقتحم العقبة ويطعمه(٥). ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾(٦): أي: لاصقٍ بالتراب في أصل معناه؛ وهو هنا: كنايةٌ عن شدة الفقر والاحتياج فقط، أو مع الزَّمَانَة(٧)(٨).

وقدم تعالى صاحبَ القرابة: لكونه أحقَّ بصدقة قريبه من غيره إذا استويا في الفاقة والاضطرار. ففي القرآن المبين: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا

---

(١) المخمصة: مجاعةٌ تُورث خَمْصَ البطن؛ أي: ضموره. يقال: رجلٌ خامصٌ؛ أي: ضامر. وأَخْمَص القدم: باطنها؛ وذلك لضمورها. ينظر: المفردات في غريب القرآن للأصبهاني ص (٢٩٩).

(٢) سورة البلد، الآية: (١٥).

(٣) في الأصل: (أبا).

(٤) سورة البلد، الآية: (١٥).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١٢/٩)، لسان العرب لابن منظور (٦٦٦/١).

(٦) سورة البلد، الآية: (١٦).

(٧) الزمانة: البلاء أو العاهة. ينظر: مختار الصحاح للرازي ص (١٣٧)، تاج العروس للزبيدي (١٥٣/٣٥).

(٨) قال ابن الأنباري في الزاهر (١٢٨/١): (معناه: أو مسكينًا لصق بالتراب من شدة الفقر. فلما نعته ﷻ بهذا النعت: علمنا أنه ليس كُلُّ مسكينٍ على هذه الصفة). وينظر: شمس العلوم للحميري (٧٣٦/٢).

تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾[1]. وفي الحديث الشريف: (إن الله لا يقبل صدقة العبد وفي أهله محاويج)[2]. وأنت خبيرٌ بأنه جل وعلا قدَّم في هذه الآية الوالدين على الأقربين، والوالد من ولدك وإن علا؛ كالجد وأبي الجد وجده وهكذا، والأم وأمها وجدتها كذلك؛ وإن علت؛ وقدمهما مع الأقربين على اليتامى والمساكين؛ وهو كذلك؛ فلا يُقدَّم على الوالدين أحدٌ إذا استويا مع غيرهما في الاحتياج، ولا إذا كانا أقلَّ احتياجًا من الغير، ولم تؤدِّ حاجةُ الغير إلى الهلاك. وقد قال -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (أنتَ ومالَكَ لأبيكَ)[3]. وخصص ابنَ السبيل بالذكر بعدهما؛ وهو المسافر في غير وطنه الذي لا يجد ما ينفقه أو يسافر به؛ وإن كان مليئًا في دار إقامته؛ إذا لم يجد من يدينه؛ لأنه أسوأُ حالًا من الفقير والمسكين. وأخَّرَه في الذكر عنهما: لكونه غنيًّا في الحقيقة؛ وإن قصرت يدُه[4]. وقد وقعتُ في ورطة احتياج

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢١٥).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ أو بنحوه.

(٣) إسناده صحيح. أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، برقم: (٢٢٩١)؛ قال: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا يوسف ابن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، أن رجلًا قال: يا رسول الله ! إن لي مالًا وولدًا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي !. فقال: (أنت ومالك لأبيك). قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣٧/٣): (هذا إسنادٌ صحيحٌ؛ رجاله ثقاتٌ على شرط البخاري). وممن صحح إسناده: الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٧٦٩/٢)، والأرناؤوط في تحقيق سنن ابن ماجه (٣٩١/٣).

(٤) قال الرازي في تفسيره (٣٨٣/٦): (ثم ذكر تعالى بعدهم المساكين، وحاجة هؤلاء أقل من حاجة اليتامى؛ لأن قدرتهم على التحصيل أكثر من قدرة اليتامى. ثم ذكر تعالى بعدهم ابن السبيل؛ فإنه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع

ابن السبيل مرةً في الأستانة، وفرَّج اللهُ تعالى عني بدون ذل السؤال؛ فأتاني من الشام ما كفاني ولله[١] الحمد.

ثم ختم تعالى الآيةَ بقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٢]: إشارةً إلى النية في فعل الخير؛ إذ هي المقصود في الأعال كلها؛ فلا يكفي الظاهر. قال -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى)[٣].

وفي الحديث الشريف أيضًا: (إن الله لا ينظر إلى صوركم؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم)[٤]، وقال -عليه الصلاة والسلام-: (إن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا ففسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب)[٥]؛ اللهم أصلح فسادَ قلوبنا.

في الاحتياج والفقر؛ فهذا هو الترتيب الصحيح الذي رتبه الله تعالى في كيفية الإنفاق).

(١) في الأصل: (وله) بلام واحدة.

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢١٥).

(٣) متفقٌ عليه؛ تقدم تخريجه.

(٤) إسناده صحيح. أخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، برقم: (٢٥٦٤)؛ قال: حدثنا عمرو الناقد، حدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

(٥) متفقٌ عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم: (٥٠)، ومسلمٌ في صحيحه، كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم: (١٥٩٩)؛ كلاهما من حديث زكرياء، عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحلال بيِّنٌ

ثم إن لسقاية الماء في يومٍ شديد العطش من زيادة الحر حُكمَ الإطعام في يوم المسغبة بل أشد. على أن المسغبةَ تأتي بمعنى العطش أيضًا؛ يقال: سغبه الرجل: إذا جاع أو عطش؛ وإن كان مهجورًا لا يستعمل في العطش. والمسغبة في الآية لا تتناول العطش؛ لتخصيص الإطعام في يومه. وورد في سقاية الماء أحاديثُ كثيرةٌ؛ كقوله -صلى الله تعالى عليه وسلم:(١). والمسلمون يسقون الماء لروح الحسين بن علي -عليهما السلام-؛ وهي عادةٌ مستحسنةٌ؛ لِمَا أنه قُتِلَ عطشانًا(٢)(٣)؛ جَعَلَ(٤) اللهُ في النار من قتله،

والحرام بيِّنٌ، وبينهما مشبهاتٌ لا يعلمها كثيرٌ من الناس؛ فمن اتقى المشبهات: استبرأ لدينه وعرضه؛ ومن وقع في الشبهات: كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه؛ ألا وإن لكل مَلِكٍ حمًى؛ ألا إن حمى الله في أرضه محارمُه؛ ألا وإن في الجسد مضغًة إذا صلحت صلح الجسد كله؛ وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب). واللفظ للبخاري.

(١) بيَّض المؤلفُ هذا الموضعَ في الأصل للتمثيل بحديثٍ في فضل سقاية الماء؛ لكنه لم يرجع إليه.

(٢) في الأصل: (عطشان).

(٣) جاء في تاريخ الطبري (٤١٢/٥)؛ قال: (قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم الأزدي، قال: جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أما بعد؛ فَخُلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة؛ كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان؛ قال: فبعث عُمَرُ بنُ سعدٍ عَمْرَو بنَ الحجاجِ على خمسمائة فارس؛ فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة؛ وذلك قبل قتل الحسين بثلاث).

(٤) في الأصل: (قتل) !.

ومن أمر بقتله، ومن رضي بقتله ممن سلف [٧/ب] أو خلف، وضاعف له العذابَ وأخلده فيه مهانًا.

وقد اختُلِفَ في كون الأفضل هو فك الأسير أو الرقيق أو الإطعام في يوم المسغبة. والحق: أن أفضليةَ ترجع إلى حال الاضطرار؛ فإن كان الجائعُ يؤدي به جوعُه إلى الهلاك وليس الأسير والرقيق كذلك: كان الإطعامُ أفضل. وإن كان بالعكس: فالفكُّ أفضلُ. فإن تساويا: قُدِّمَ ما يكون في موته امتهانٌ للدين أو عارٌ على المسلمين، أو يتعدى ضررُ موته إلى غيره؛ كمن له عائلةٌ يعولها: إذا مات ماتوا أو ضاعوا؛ مع من ليس كذلك[١]. ويُقدَّم فكُّ المسلمة -لا سيما الأسيرة- على الرجل الأسير، وكذا عتقها؛ وبالأولى إذا كانت تحت يد كافر. ويتأكد الوجوبُ إذا خِيفَ أن يَفجُرَ بها. ولا يجوز للمسلمة أن تُمَكِّن من نفسها كافرًا. ومنه: المرتد بأي وجهٍ كان؛ وعلى غير هذا لا يُعوَّل. وتقديم المسلم على غيره، والعالِمُ على الجاهل، والصالح على الطالح، ومن فيه نفعٌ على من لا نفعَ فيه، ومن لا نفعَ فيه على من فيه ضررٌ؛ وأمثالها لا يحتاجُ إلى كلام. فإن استوت المصلحةُ: كان الحكمُ للقرعة[٢].

وقد أعقب تعالى ذكر اقتحام هذه العقبة المذكورة ببيان ما يجب أن يكون عليه حال مُقتحِمها؛ ليقبلَ اللهُ تعالى اقتحامَه؛ بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾[٣]: أي: المُقتحِم ذلك؛ سواءٌ بالفك أو الإطعام. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٤]: بالله تعالى،

---

(١) في الأصل: (ذلك).

(٢) ينظر: الأم للشافعي (٣/٨)، المغني لابن قدامة (٣٢١/١٠).

(٣) سورة البلد، الآية: (١٧).

(٤) سورة البلد، الآية: (١٧).

وبرسوله سيدنا محمد -صلى الله تعالى عليه وسلم-، وبجميع ما جاء به من توحيدٍ وشريعةٍ وتصديقٍ بالملائكة والكتب المحفوظة من التبديل والتحريف؛ إيمانًا إجماليًّا بأنها مُنزَّلةٌ من الله؛ لا تفصيليًّا بجملها وفقراتها؛ خصوصًا ما كان فيها من المكفرات(١)؛ كاعتقاد التجسيم بالله تعالى(٢)، والبَدَاء(٣)، والتثليث(٤)، ومثالب الأنبياء المعصومين من المعاصي -عليهم الصلاة والسلام-، وصلب المسيح عيسى ابن(٥) مريم -عليهما السلام-، وأمثالها؛ إذ مع غير الإيمان المذكور لا ينفع عملٌ؛ ولو أُومِنَ بكل كتابٍ

---

(١) يريد: المُفضِيَةَ إلى الكفر اعتقادًا أو قولًا أو فعلًا.

(٢) أهل التجسيم أو المجسمة: هم الذين نسبوا الله تعالى إلى الجسمية، وأسندوا إليه سبحانه كثيرًا مما يسند إلى الجسم؛ معاذ الله. ينظر: إيضاح الدليل لابن جماعة ص (٢٧).

(٣) قال ابن حزم في الفِصَل (١٢٦/١): (وأما البداء: فمن صفات من يَهُمُّ بالشيء ثم يبدو له غيره؛ وهذه صفة المخلوقين؛ لا صفةَ من لم يَزَلْ لا يخفى عليه شيءٌ يفعله في المستأنف).

(٤) التثليث: اعتقاد النصارى الذين أخبر الله عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة:٧٣]؛ فإن النصارى لم يثبتوا للعَالَم ثلاثةَ أربابٍ ينفصل بعضهم عن بعض؛ بل متفقون على أن صانعَ العَالَم واحدٌ؛ ويقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إلهٌ واحدٌ. فقولهم في التثليث متناقضٌ في نفسه، وقولهم في الحلول أفسدُ منه. ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص (٣٠).

(٥) في الأصل: (بن).

ونبيٍّ. قال عز شأنه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(١).

﴿وَ﴾(٢): كان من الذين. ﴿تَوَاصَوْاْ﴾(٣): أي: أوصى بعضُهم بعضًا. ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾(٤): على المكاره وتحمل المصائب، وعن المعاصي وعلى الطاعات؛ لصعوبتها على النفس؛ إذ لا راحةَ في الدنيا؛ ومن لم يصبر عن رضاء نفس: صبر قهرًا عنها. وقد أمر الله تعالى بالصبر وندب إليه؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥). ونهى -صلى الله تعالى عليه وسلم- عن تمني الموت ضجرًا، وعن ملاقاة العدو؛ وقال: (سلوا اللهَ العافية)(٦). وقال الحكيم العليم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

(١) سورة الفرقان، الآية: (٢٣).
(٢) سورة البلد، الآية: (١٧).
(٣) سورة البلد، الآية: (١٧).
(٤) سورة البلد، الآية: (١٧).
(٥) سورة آل عمران، الآية: (٢٠٠).
(٦) متفقٌ عليه. أخرجه البخاري في صحيحه في ثلاثة مواضع؛ أولها: في كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخَّرَ القتالَ حتى تزول الشمس، برقم: (٢٧٤٤)، ومسلمٌ في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو، برقم: (١٧٤٢)؛ كلاهما من حديث سالم أبي النضر -مولى عمر بن عبيد الله- وكان كاتبًا له؛ قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى؛ فقرأته: إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس خطيبًا؛ قال: (أيها الناس ! لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف). ثم قال: (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب؛ اهزمهم وانصرنا عليهم)؛ واللفظ للبخاري في أول مواضعه.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[2]؛ وجعله حقًّا عليه؛ مع أنه جل شأنه لا يجب عليه شيءٌ؛ لكنه جعله حقًّا عليه: تثبيتًا لقلوب عباده المؤمنين؛ فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا [٨/أ] نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]؛ أي: بالحق.

وليس المراد بهم: المؤمنين ولو بباطلٍ -كما زعمه بعضُ معاصرينا[4] تفسيرًا بالرأي[5]-؛ لما يلزم عليه أن يكون حقًّا على الله تعالى نصرُ المؤمنين بباطلٍ وهم الكفرة، على المؤمنين بحقٍّ وهم المسلمون. فإن الأممَ إما مسلمون وإما كفرة.

فإذا كان حقًّا على الله نصر الكفرة وهم المؤمنون بباطلٍ على المؤمنين بحقٍّ وهم المسلمون؛ كان معناه: وكان حقًّا على الله نصرُ الكافرين على المسلمين؛ وفيه تهورٌ عظيمٌ، مُكفِّرٌ بَيِّنٌ بنفسه، لا يخفى على عاقل. وينبني عليه: خذلانُ المسلمين وتثبيطُهم عن قتال أعدائهم الكافرين؛ لأن وعْدَ الله تعالى حقٌّ؛ وهو لا يخلف الميعاد. وقد وعد بنصر المؤمنين بالباطل على المؤمنين بحقٍّ؛ وليس هذا المراد بقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ

---

(١) سورة محمد، الآية: (٧).

(٢) سورة محمد، الآية: (٨).

(٣) سورة الروم، الآية: (٤٧).

(٤) بعد البحث؛ لم يتبين لي من هم على وجه التحديد.

(٥) التفسير بالرأي: تفسير القرآن بالاجتهاد؛ بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر. ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/١٨٣).

ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]: المؤمنين فيها بالباطل؛ بل المراد: المؤمنون المُبيَّنون بقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[٢]؛ كما هو ظاهرٌ لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان[٣].

ومِثْلُ هذا: زعمُ كونِ الله تعالى ينصر الكافرين لرضائه عنهم بتمسكهم بدينهم، على المؤمنين لغضبه عليهم [و]لعدم تمسكهم بدينهم. والتعبير الحق في هذا المقام: أن يقال: إنما خذل الله المسلمين ونصر عليهم الكافرين؛ استدراجًا للكافرين، وعدمَ رضًا عن المسلمين لإعراضهم عن دينهم، وتركهم تمسكَهم به. فالله تعالى جل شأنه يقول: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[٤]. وهو كسابقه: خطأٌ يؤدي لكفر من يقصد معناه.

على أن المرادَ في هذه الآيةِ وأمثالِها بالمؤمنين الذين وعدهم بالنصر: الذين آمنوا وعلموا الصالحات واجتنبوا السيئات ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[٥]: أي: بأن

---

(١) سورة الروم، الآية: (٤٧).

(٢) سورة العصر، الآيات: (١-٣).

(٣) قال الماوردي في النكت والعيون (٤/٣٢٠): (فيه وجهان: أحدهما: نصر الأنبياء بإجابة دعائهم على المكذبين لهم من قومهم؛ قاله يحيى بن سلام. الثاني: نصر المؤمنين بإيجاب الذب عن أعراضهم؛ فقد روت أم الدرداء قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من امرئٍ مسلمٍ يرد عن عرض أخيه؛ إلا كان حقًّا على الله ﷻ أن يرد عنه نارَ جهنم يوم القيامة)؛ ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]).

(٤) سورة الزمر، الآية: (٧).

(٥) سورة البلد، الآية: (١٧).

يرحم بعضُهم بعضًا. وفي الحديث الصحيح عن معلم الخير سيدنا -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (ليس منا من لم يرحم صغيرَنا، ويوقر كبيرَنا، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر)[1]. والمرءُ الذي لا ناصرَ له غير الله: مثلُ الصغير في السن؛ أشدُّ احتياجًا للرحمة؛ والكبير في المنزلة بين الناس: مثل الكبير الطاعن في السن؛ ومن الإضافة إلى ثاني قوله -صلى الله تعالى عليه وسلم-: (كبيرنا) يعلم أن المراد: الكبير المسلم؛ كما يفصح به قوله -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الآخر: (ثلاثةٌ لا يَستخِفُّ بحقهم إلا منافقٌ:

ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمامٌ مُقسِطٌ)[2]؛

---

(١) إسناده صحيح. أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب البر والصلة، باب رحمة الصبيان، برقم: (١٩٢١)؛ قال حدثنا أبو بكر محمد بن أبان، قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن شريك، عن ليث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر). وقال عقيبه: (هذا حديثٌ غريب). وأخرجه بلفظٍ قريبٍ قبله مختصرًا؛ برقم: (١٩٢٠)؛ قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أبان، حدثنا محمد بن فضيل، عن محمد ابن إسحق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا). وقال عقيبه: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ). قلت: وصحح إسنادهما معًا الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٢٢/٤).

(٢) إسناده ضعيفٌ جدًّا. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠٢/٨)، برقم: (٧٨١٩)؛ قال: حدثنا الحسن بن علي بن خلف الدمشقي، ثنا سليمان بن عبد الرحمن، ثنا إسماعيل بن عياش، عن مطرح بن يزيد، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ: (ثلاثةٌ لا

ويتمحَّلُ[١] البعضُ بأن لفظ: (في الإسلام) في الحديث المذكور: ليس قيدًا؛ وإنما هو اتفاقيٌّ[٢] لو سُلِّم فيه رفعٌ لجميع القيود في الأحاديث؛ بل يمكن أن يتمشَّى للآيات أيضًا؛ فيقال في القيود كلها: أنها اتفاقيةٌ وليست صفاتٍ؛ لإخراج من لم يتصف بها![٣]. وبمثل هذا تَنحَلُّ عُرَى الشريعة وأحكامُها؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والمراد بالعلم فيه أيضًا: العلم الديني لا مطلقَ علمٍ ولا كُلَّ علم[٤]؛

يستخف بحقهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط). قلت: في إسناده: مطرح بن يزيد: مُجمَعٌ على ضعفه. ينظر: ديوان الضعفاء للذهبي ص (٣٨٩). وفيه: عبيد الله بن زحر؛ قال عنه ابن معين: حديثه عندي ضعيف. وقال مرة: ليس بشيء. وقال ابن المديني: منكر الحديث. ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٦/٣). وفيه: علي بن يزيد الألهاني؛ ضعيفٌ له مناكير. قال النسائي عنه: ليس بثقة. وقال غيره: متروك. ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٤٦٦/٣).

(١) التَّمحُّل: الاحتيال؛ وهو الطلب بحيلة. ينظر: الكليات لأبي البقاء ص (٢٩٤).

(٢) يعني: موافقةً لصدور اللفظ عنه؛ من غير إرادة التقييد وما يُبنى عليه.

(٣) بل هي صفةٌ معتبرةٌ مُقيِّدة. قال الصنعاني في التنوير (٢٢٥/٥): (قوله ﷺ: (ذو الشيبة في الإسلام)؛ يعني: لا الشايب في غيره؛ فإنه لا حقَّ له به؛ بل إهانته مرادةٌ؛ لذهاب عمره في معصية الله). وينظر: دليل الفالحين لابن علان (٢١٢/٣).

(٤) قال المناوي في فيض القدير (٣٢٨/٣): (قوله ﷺ: (وذو العلم)؛ أي: الشرعي).

لأنه لا يخلو عاقلٌ ما عن علم؛ حقيرًا كان ذلك العلم كاصطناع الخمر والدياثة[1]، أو شريفًا كالطب والسياسة؛ وكلُّ واحدٍ من علماء هذه الفنون يقال له في اللغة: عالِمٌ وزعيمٌ. [ف]المراد بالعلم فيه غير علم الدين: يؤدي إلى وجوب توقير كُلِّ الناس؛ ولا يقبله عقلٌ فضلًا عن نقل؛ ومنه توقير الخمَّار والديُّوث؛ فليُفهَم وليُعقَل. وتخصيصه بعلمٍ منها دون علم: تخصيصٌ بغير مخصص، وينافي قاعدةَ ما يثبُت لأحد المِثلين يثبُت للمِثل الآخر[2]؛ بخلاف علم الدين؛ فإنه في القرآن المبين وفي كل شرائع النبيين -صلى الله تعالى وسلم عليهم أجمعين-.

وقد مدح الله تعالى هذه الأمةَ المحمديةَ بكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3]، ولعن اليهودَ لتركهم ذلك وإعراضهم عنه وذمهم؛ فقال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ [٨/ب] لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ٧٩﴾[4].

---

(١) والفعل منه: الدَّيُّوث: وهو الذي يُدَيِّثُ نفسَه على أهله؛ فلا يبالي ما يُنالُ منهم. وقيل: هو القوَّاد على أهله، والذي لا يَغارُ على أهله. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٤/١٥)، تاج العروس للزبيدي (٢٥٤/٥).

(٢) فمن حكم المثلين: أن لا يثبت لأحدهما وصفٌ إلا ويجوز ثبوته لمماثله. ينظر: التلخيص للجويني (٤٦٧/١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١١٠).

(٤) سورة المائدة، الآيتان: (٧٨ و٧٩).

ثم إنه تعالى لما ذكر في القرآن الحكيم أصحابَ اليمين، وما أعد لهم في الأخذ من الأجر العظيم في جنات النعيم؛ وذكر أصحاب الشمال، وما أعد لهم في الآخرة من العذاب وسوء الأهوال في جهنم الأهوال: أبان [عن] كون المذكورين من أصحاب اليمين؛ فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾[1]: أي: الموصوفون بما ذكرنا ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾[2]: أي: اليمين؛ وقد بين جل شأنه حالَ أصحاب اليمين في الجنة؛ فقال: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨﴾[3]؛ أي: أنشأنا الحور العين إنشاءً من غير ولادةٍ من أبوين، محببات لأزواجهم أصحابِ اليمين، متساوياتٍ في السن ليست إحداهُنَّ أكبرَ من أختها[4].

ثم استطرد جل وعلا للفائدة: ببيان حال أصحاب المشأمة؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[5]: أي: دلائلنا التي قامت على صحة هذا الدين من كتابٍ إلهيٍّ -وهو القران-، أو معجزٍ من رسولنا، أو بشارةٍ في كتابٍ إلهيٍّ، أو على لسان رسولٍ ونبيٍّ؛ وكذا من كفر بآياته التي أوتيها قبل نبينا نبيٌّ من

(١) سورة البلد، الآية: (١٨).
(٢) سورة البلد، الآية: (١٨).
(٣) سورة الواقعة، الآيات: (٢٧-٣٨).
(٤) ينظر تفسير هذه الآيات في: تفسير الطبري (٣١٨/٢٢)، البحر المحيط لأبي حيان (٨٠/١٠).
(٥) سورة البلد، الآية: (١٩).

الأنبياء أو رسولٌ من الرسل -صلى الله تعالى وسلم عليهم أجمعين- ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾[1]: أي: الشمال[2].

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾[3]: أي: مُطبَقةٌ من كل جهة؛ من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم وعن يمينهم وعن شمالهم ومن أمامهم ومن خلفهم[4]. وقد أوضح تعالى حالَ هذه النار -والعياذ بالله جل ثناؤه-؛ فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٤٧ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ٤٨﴾[5]. والسموم: الريح الشديدة الحارة التي تدخل في المسام[6]؛ وهي معروفةٌ بهذا الاسم في الأقطار الحارة؛ تُميتُ من تدخُل أنفَه وتُسوّد

(١) سورة البلد، الآية: (١٩).

(٢) ينظر: ديوان الأدب للفارابي (٢٢٥/٣)، تاج العروس للزبيدي (٤٤٧/٣٢).

(٣) سورة البلد، الآية: (٢٠).

(٤) مأخوذٌ من قولهم: أوصدت الباب؛ إذا أطبقته وأغلقته. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٥٢٨).

(٥) سورة الواقعة، الآية: (٤١-٤٨).

(٦) ينظر: المحكم لابن سيده (٤٢٩/٨)، شمس العلوم للحميري (٢٩١٦/٥).

بدنَه؛ حتى كأنه حبشيٌّ أو زنجيٌّ[١]. والحميم: الماء الكثير السخونة[٢]. واليحموم: الدخان الزائد سواده[٣]. والكريم: ذو المنظر الحسن[٤]. وقد ذكر سبحانه أوصافَهم التي استحقوا بها في الدنيا هذا الجزاء في الآخرة بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾[٥] الآية. أي: كانوا في الدنيا منعمين، ومداومين على الذنب العظيم، وينكرون البعثَ والنشور.

وسمي أصحابُ اليمن أصحابَ اليمين: لأنهم يؤتون صحفَ أعمالهم التي كانوا يعملونها بيمينهم؛ جعلنا الله تعالى منهم. وسمي أصحابُ الشمال أصحابَ الشمال: لأنهم يؤتونها بشمالهم. وهذه الصحف: هي الكتاب الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[٦].

---

(١) الحَبَش، والحَبَشَة، والأَحْبُش: جنسٌ من السودان. والزُّنُوج: جيلٌ من السودان أيضًا؛ تسكن تحت خط الاستواء وجنوبيه، وليس وراءهم عمارة. وقال بعضهم: وتمتد بلادهم من المغرب إلى قرب الحبشة، وبعض بلادهم على نيل مصر. واحدهم: (زنجي) بفتح الزاي وكسرها. ينظر: تاج العروس للزبيدي (١٨/٦) و(١٢٠/١٧).

(٢) ينظر: العين للخليل (٣٣/٣)، ديوان الأدب للفارابي (٧٩/٣).

(٣) ينظر: الصحاح للجوهري (١٩٠٦/٥)، مقاييس اللغة لابن فارس (٢٣/٢).

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٤/٤-٢٢٥): (والعرب تجعل الكريم تابعًا لكل شيءٍ نفت عنه فعلًا يُنوَى به الذم؛ فتقول: ما هذه الدار بواسعةٍ ولا كريمة، وما هذا بسمينٍ ولا كريم. قال ابن عباس: لا بارد المدخل، ولا كريم المنظر).

(٥) سورة الواقعة، الآية: (٤٥).

(٦) سورة الإسراء، الآية: (١٣).

ثم إنه تعالى ذكر حالَ من يؤتى كتابَه بيمينه؛ فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ٢٤﴾[1]. والمراد بقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[2]: سوء الحساب المُوجِب للعذاب؛ لا أنه لم يلاقِ حسابًا أصلًا[3]؛ بما دلت عليه آية: ﴿فَأَمَّا[4] مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ٩﴾[5]؛ فلا يُستثنَى أحدٌ من الحساب بين يدي رب الأرباب على رؤوس الأشهاد؛ وكلُّ إنسانٍ يَجِدُ ما عَمِلَ حاضرًا، ولا يظلم ربك أحدًا. والذي يُؤتَى كتابَه بيمينه: يُؤتَاه من أمامه، والذي يُؤتَى كتابَه بشماله: يُؤتَاه من وراء ظهره؛ وذلك أن تُغلَّ يُمناه إلى عنقه، وتُجعَل يُسراه وراء ظهره؛ فيُؤتَى بها كتابَه؛ [٩/أ] فيأخذه بها؛ ويقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[6]؛ فيقرؤه على رؤوس الأشهاد؛ فيُسحَب على وجهه إلى النار؛ ثم ينادي أصحابُ الجنة

(١) سورة الحاقة، الآيات: (١٩-٢٤).
(٢) سورة الحاقة، الآية: (٢٠).
(٣) لذلك قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢١٧/٥): (معناه: إني أيقنتُ بأني أُحاسَب وأُبعَث).
(٤) في الأصل: (فأ من)؛ من دون (ما) بينهما.
(٥) سورة الانشقاق، الآيات: (٧-٩).
(٦) سورة الإسراء، الآية: (١٤).

أصحابَ النار: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾(١)؛ فيقولون: نعم؛ ثم يُؤذِّنُ مؤذنٌ بينهم: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

أعاذنا الله تعالى وحمانا، وجعلنا من أصحاب اليمين، وآتانا كتابَنا بيميننا(٣)؛ آمين. ونسأله العفوَ والعافيةَ؛ فإنه خيرُ مَن يُسأل، ولا يَخِيبُ عبدٌ حسَّنَ به الظَّنَ وعليه اتكل؛ وهو أعظمُ من إليه يُلجأ، وخيرُ من إليه يُلجأ.

[نصيحةٌ في الصدقة والدعاء]

وفي الحديث الشريف: (الصدقة تمنع سبعين نوعًا من أنواع البلاء)(٤)، وفي حديثٍ آخرَ: (الدعاء يرد البلاء)(٥). فعليكم -أيها المسلمون- بالصدقة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٤٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٤٤).

(٣) في الأصل: (بيميننا نا) هكذا؛ بزيادة (نا).

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ؛ لكن بنحوه ومعناه: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٤/٤)، برقم: (٤٤٠٢)؛ قال: حدثنا عبيد العجلي، ثنا جبارة بن المغلس، ثنا حماد بن شعيب، عن سعيد بن مسروق، عن عباية بن رفاعة، عن رافع بن خديج، قال: قال رسول الله ﷺ: (الصدقة تسد سبعين بابًا من السوء). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٩/٣): (رواه الطبراني في الكبير؛ وفيه حماد بن شعيب؛ وهو ضعيف).

(٥) إسناده ضعيفٌ بهذا اللفظ، ولم يصح مرفوعًا. أخرجه أبو الشيخ في ثواب الأعمال (مخطوط لم يطبع بعد)، وإسناده كما في المداوي للغماري (٥٤/٤) قال: (أبو الشيخ عن أبي هريرة. قلت: قال أبو الشيخ: حدثنا زكريا بن يحيى الساجي، ثنا أحمد بن محمد الجمحي، ثنا ابن أبي أويس، عن السري بن سليمان، عن الزجاجي، عن أبي سهيل، عن مالك، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: الدعاء يرد البلاء). قلت: وضعَّفَ إسنادَه الألبانيُّ في ضعيف الجامع الصغير ص (٤٤١)، برقم: (٦٧٥٠).

والدعاء؛ لتنجوا من عظيم المصائب وجهد البلاء؛ وقد أمر تعالى بالدعاء، ووعد عليه الإجابة؛ فقال: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[2]. فإذا ابتغيتم أن يستجيب لكم دعاءكم: فاستجيبوا له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ فإذا فعلتم ذلك: لعلكم ترشدون إلى إجابة دعائكم؛ و(لعل): للتحقيق لا لرجاء المخاطبين[3]؛ فتجابونَ حقيقةً؛ وبهذا يُعرَف سببُ عدم إجابة الدعاء؛ فإذا زال السببُ يزول المُسبَّب -إن شاء الله تعالى-[4].

---

(١) سورة غافر، الآية: (٦٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٦).

(٣) إذا وقعت: (لعل) أو (عسى) في كلام الله تعالى: لا يكون معناها الرجاء أو الإشفاق؛ لاستحالة ذلك عليه. وإنما يكون معناها: التحقيق والقطع حينًا، وحينًا الرجاء أو الإشفاق منسوبًا إلى الذي يدور بصدده الكلام؛ لا إلى المولى جلَّ شأنه. ينظر: النحو الوافي لعباس حسن (٦٣٦/١).

(٤) قال الطبري في تفسيره (٢٢٧/٣-٢٢٨): (فإن قال لنا قائلٌ: وما معنى هذا القول من الله تعالى ذكره: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُوْنَ﴾ [البقرة:١٨٦] ؟ فأنتَ ترى كثيرًا من البشر يدعون اللهَ فلا يُجاب لهم دعاء؛ وقد قال: ﴿أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]. قيل: إن لذلك وجهين من المعنى: أحدهما: أن يكون معنيًّا بالدعوة: العمل بما ندب الله إليه وأمر به؛ فيكون تأويل الكلام: وإذا سألك عبادي عني؛ فإني قريبٌ ممن أطاعني، وعَمِلَ بما أمرتُه به؛ أجيبه بالثواب على طاعته إياي إذا أطاعني. فيكون معنى الدعاء: مسألةُ العبد ربَّه وما وعد أولياؤه على طاعتهم بعلمهم بطاعته. ومعنى الإجابة من الله التي ضمنها له: الوفاء له بما وعد العاملين له بما أمرهم به ... والوجه الآخر: أن يكون معناه:

وصيغُ الدعاء كثيرةٌ؛ منها نبويةٌ مأثورةٌ عنه -صلى الله تعالى عليه وسلم- ؛ وهي أفضلُها. كقوله -عليه الصلاة والسلام-: (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارثَ منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا)[1].

ومن أدعية أهل البيت المأثورة عنهم: ما أوصى به سيدُنا عليٌّ زينُ العابدين ابنُ سيدنا عليٍّ -كرم الله تعالى وجهَه- أولادَه -عليهم السلام أجمعين- إذا نزل بهم فاقةٌ أو أمرٌ فادحٌ: أن يتوضؤوا الوضوءَ للصلاة،؛ ويصلوا ركعتين أو أربعًا؛ وليقولوا بعدها: (يا موضعَ كلِّ شكوى، يا سامعَ كلِّ نجوى، يا شافيَ كلِّ بلوى، ويا عالِمَ كلِّ خفية، ويا كاشفَ كلِّ بلية؛ أدعوكَ دعاءَ من اشتدت فاقتُه، وضَعُفَت قوتُه، وقلَّت حيلتُه؛ دعاءَ الغريق الفقير الذي لا

أجيب دعوةَ الداع إذا دعانِ إن شئتُ؛ فيكون ذلك وإن كان عامًّا مخرجه في التلاوة، خاصا معناه).

(١) إسناده حسن. أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات، برقم: (٣٥٠٢)؛ قال: حدثنا علي بن حجر، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن خالد بن أبي عمران، أن ابن عمر، قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلسٍ حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: (اللهم اقسم لنا من خشيتك ...)؛ وذكره بتمامه. وقال عقيبه: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ؛ وقد روى بعضهم هذا الحديث عن خالد بن أبي عمران، عن نافع، عن ابن عمر). قلت: وقد حسَّنَ إسنادَه الألبانيُّ في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥٢٨/٥).

يجد لكشف ما هو فيه إلا أنتَ يا أرحمَ الراحمين؛ لا إله إلا أنتَ سبحانكَ إني كنتُ من الظالمين). قال -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-: (لا يدعو به أحدٌ أصابه بلاءٌ؛ إلا فَرَّجَ اللهُ عنه)[1].

ومن دعائه عليه السلام: (اللهم كما أسأتُ فأحسنتَ إليَّ؛ فإذا عدتُ فعُدْ عليَّ)[2]. أي: كما أسأتُ أنا إلى نفسي: فأحسنتَ أنتَ إليَّ؛ فإذا عدتُ أنا إلى إساءتي لنفسي: فعُدْ أنتَ بالإحسان عليَّ.

(١) لم أقف عليه فيما بين يدي من الكتب المسندة والأجزاء الحديثية عند أهل السنة والجماعة؛ لكنه موجودٌ في كتب الشيعة مقطوع الإسناد إلى زين العابدين علي بن الحسين؛ كما في الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام زين العابدين ص (٣٩٦)؛ قال: (عن أبي حمزة الثمالي، قال: كان علي بن الحسين -عليهما السلام- يقول لأولاده: يا بني إذا أصابتكم مصيبةٌ من مصائب الدنيا، أو نزل بكم فاقةٌ، أو أمرٌ فادحٌ ...) فذكره بتمامه؛ إلى أن قال: (لا يدعو بهذا رجلٌ أصابه بلاءٌ؛ إلا فُرِّجَ عنه).

(٢) إسناده موضوعٌ؛ مع كونه مقطوعًا على زين العابدين الحسين بن علي. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٣٤/٣)؛ قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن محمد بن عبد الله، قال: ثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: ثنا أحمد بن الصلت، قال: ثنا قاسم بن إبراهيم العلوي، قال: حدثني أبي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال علي بن الحسين: (فقد الأحبة غربة؛ وكان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي، وتقبح في خفيات العيون سريرتي؛ اللهم كما أسأتُ وأحسنتَ إلي، فإذا عُدتُ فَعُد عليَّ). آفة إسناده: أحمد بن الصلت: وضَّاعٌ أحاديثه باطلة. ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١٢٩/٧).

[خاتمة الرسالة]

هذا ما أراد الله تعالى إخراجَه من المُسوَّدة قبيل غروب شمس يوم الأحد: ثالث شهر صفر، عام ستٍّ وثلاثينَ وثلاثمئةٍ وألفٍ هجرية.

اللهم احفظ ابني محمدًا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته، ورُدَّه سالمًا غانمًا محروسًا بعين عنايتك، مُوَقًّى[1] بوقايتك ورعايتك؛ على أحسن حالٍ يا محول الأحوال؛ يامن بيده ملكوتُ الدنيا والآخرة؛ يا من لا يعجزك شيءٌ في الأرض ولا في السماء؛ بجاه خاتم[2] الأنبياء وصفي الأصفياء؛ سيدنا محمدٍ وصحبه وآله؛ صلى الله تعالى عليه وعليهم وسلم؛ والحمد لله رب العالمين؛ آمين.

(١) في الأصل: (مُوْقَيًا)؛ وهو غلطٌ لغةً.

(٢) في الأصل: (ختم).

خاتمة البحث

وبعد الانتهاء من دراسة وتحقيق هذه الرسالة المباركة؛ أضع بين يدي خاتمتها عددًا من النتائج:

- كان ابن المُنَيِّر عَالِمًا شامِيًّا متفننًا مشهورًا؛ من أسرةٍ علميةٍ صالحةٍ؛ وقد اشتغل بالرحلة والتدريس والتأليف حتى وفاته؛ وقد بلغت تآليفُه أكثرَ من (٦٠) رسالةً وكتابًا.
- لم يذكر المترجمون له وللمشتهرين من أسلافه: السببَ في تلقيبهم لهم بـ (أبناء المُنَيِّر)؛ ولعل ذلك: لشرف نسبهم، وطِيب محتدهم، وبركة طريقتهم، وصلاح أجدادهم
- من أعظم ما يدل على صحة نسبة هذه الرسالة إلى ابن المُنيِّر وصحة عنوانها: أن ابنَ المُنيِّر نفسَه هو كاتبها ومؤلفها؛ وقد أرَّخها وسماها بما ارتضاه لها.
- ذكر ابن المُنَيِّر السببَ الباعثَ في تأليفه لها؛ وهو: أن يكون أغنياء المسلمين مُسعِفين لفقرائهم، وأن يعرفوا حقهم؛ فلا يظلموهم ولا يسلموهم ولا يخذلوهم.
- مهَّدَ لرسالته بـ: (عِظَم البسملة وفضلها وخواصها)؛ و(ما جاء في الحِلْم والحِدَّة والكرم والبخل)؛ و(أسماء الله الحسنى). ثم ختمها بنصيحةٍ في: (الصدقة والدعاء).
- اعتمد ابن المُنَيِّر في رسالته هذه على الطريقةَ المَزْجِيَّةَ في تفسير آيات سورة البلد؛ وكان معتمدًا على التفسير بالمأثور كتابًا وسنة.

- شرَحَ فيها غريبَ الألفاظ، وضبَطَ الألفاظ المُشكِلَة كتابةً، وبيَّنَ حدودَ المصطلحات، وحكَمَ على بعض الروايات، وعُنِيَ باختلاف ألفاظها، وشرَحَ بعضًا منها، وساقَ عددًا من الأبيات والأمثال.
- أتى ابن المُنَيِّر على تبيين الأحكام الشرعية، وعلَّلَ لبعض الاستعمالات الأصولية، وصحَّحَ بعض المفاهيم الشرعية المغلوطة بين المسلمين، وبعض الافتراءات الصادرة عن الخصوم والأعداء.
- أبرَزَ ابن المُنَيِّر جانبَ مداواة النفوس ومعالجة القلوب، وربَطَ تفسيره بمشاهدات واقعه، وزاد في صدق نصحه لخاصة المسلمين وعامتهم.

فهرست المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ)، دار الفكر ببيروت.

الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية، لأبي عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ)، دار الراية للنشر والتوزيع.

الأحوال الشخصية في التشريع الإسلامي، للدكتور أحمد غندور، الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ)، مكتبة الفلاح بالكويت.

الإرشاد في معرفة علماء الحديث (= المنتخب من الإرشاد)، لأبي يعلى خليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي، تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ)، مكتبة الرشد بالرياض.

الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (= الموضوعات الكبرى)، لعلي بن سلطان محمد الملا الهروي القاري، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ببيروت.

أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، لأبي عبد الرحمن محمد بن محمد درويش الحوت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد ابن نجيم المصري، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: زكريا عميرات، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

الأشباه والنظائر، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى (١٤١١هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

الإعجاز والإيجاز، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، مكتبة القرآن بالقاهرة.

إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه، الطبعة الأولى، (١٣٦٠هـ، ١٩٤١م)، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية، لزكي محمد مجاهد، الطبعة الثانية (١٩٩٤م)، دار الغرب الإسلامي.

الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الطبعة السادسة (١٩٨٤م)، دار العلم للملايين، بيروت.

الأم، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ،١٩٩٠م)، دار المعرفة ببيروت.

الأمالي الشارحة لمفردات الفاتحة، لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي، مصورةٌ عن مخطوطة مكتبة الأسكوريال بإسبانيا، يقع في (١٥٤) ورقة، محفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة برقم: (٤٦) ضمن فهرست التفسير وعلوم القرآن.

الأمالي المعلقة، لعثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب الكردي، تحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ)، دار عمار بالأردن ودار الجيل ببيروت.

الأمالي، لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، الطبعة الأولى (١٩٩٥م)، دار الغرب الإسلامي ببيروت.

إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة.

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي، عني بتصحيحه وطبعه: محمد شرف الدين بالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، دار الفكر ببيروت.

البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ)، دار هجر للطباعة والنشر.

بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي ببيروت.

البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر بن عبد الله بدر الدين الزركشي، تحقيق: يوسف المرعشلي، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ)، دار المعرفة ببيروت.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، طبعة (١٣٩٣هـ، و١٤١٢هـ، و١٤١٦هـ)، لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة.

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.

البيان والتبيُّن، لأبي عثمان عمرو بن بحر الكناني (الجاحظ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة (١٤١٨هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد بن محمد الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

تاج اللغة وصحاح العربية (= الصحاح)، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين ببيروت.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م)، دار الغرب الإسلامي ببيروت.

تاريخ الرسل والملوك (= تاريخ الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الطبعة الثانية (١٣٨٧هـ)، دار التراث ببيروت.

التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد.

تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، دار الغرب الإسلامي ببيروت.

تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، الطبعة الأولى (١٩٨٦م)، دار الفكر ببيروت.

تحفة الحبيب على شرح الخطيب (= حاشية البجيرمي على الخطيب)، لسليمان بن محمد بن عمر البجيرمي، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ)، دار الفكر.

تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية (١٣٨٥هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

التخريج الصغير والتحبير الكبير (مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن عبد الهادي)، ليوسف بن حسن ابن عبد الهادي ابن المِبرَد، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ)، دار النوادر بسوريا.

التذكرة، لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ)، دار صادر ببيروت.

التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، الطبعة الأولى، دار القلم بدمشق ودار كنوز إشبيليا بالرياض.

تراجم أعيان دمشق، لمحمد جميل الشطي، بإشراف: مأمون الصاغرجي وعدنان عبد ربه ومحمد أديب الجاور، الطبعة الأولى (١٩٩٤م)، دار البشائر ببيروت.

التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، مصورات دار الكتب العلمية ببيروت.

التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعةٌ من العلماء، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

التعقب المتواني على السلسلة الضعيفة للألباني، لأحمد شحاته السكندري، نسخة إلكترونية، أعدها للمكتب الشاملة: وائل عبد العظيم عبد الحميد يونس.

تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، دار الحديث بالقاهرة.

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، دار طيبة للنشر والتوزيع.

التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة بالقاهرة.

التلخيص في أصول الفقه، لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: عبد الله جولم النبالي، وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية ببيروت.

التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: د. عزة حسن، الطبعة الثانية (١٩٩٦م)، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق.

التمهيد في علم التجويد، لمحمد ابن يوسف ابن الجزري، تحقيق: د. على حسين البواب، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، مكتبة المعارف بالرياض.

التنوير شرح الجامع الصغير، لأبي إبراهيم محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، مكتبة دار السلام بالرياض.

تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى (٢٠٠١م)، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

التوقيف على مهمات التعاريف، لعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ،١٩٩٠م)، عالم الكتب بالقاهرة.

جامع البيان في تأويل القرآن (= تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار هجر للطباعة والنشر.

الجامع الكبير (= سنن الترمذي)، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، طبعة (١٩٩٨م)، دار الغرب الإسلامي ببيروت.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (= صحيح البخاري)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (مصورة عن السلطانية)، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، دار طوق النجاة.

الجامع لأحكام القرآن (= تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م)، دار الكتب المصرية بالقاهرة.

جمهرة أشعار العرب، لمحمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة.

حاشيةٌ على مختصر فن المنطق للسنوسي (= حاشية الباجوري على السنوسية)، لإبراهيم الباجوري، الطبعة الأولى (١٣٢١هـ)، مطبعة التقدم العلمية بالقاهرة.

الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة، لمحمد عارف بن أحمد المنير الحسيني الدمشقي، تحقيق: السيد يوسف أحمد، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، طبعة (١٤٠٩هـ)، مصورات دار الكتب العلمية ببيروت.

حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني، حققه ونسقه وعلق عليه: محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ)، دار صادر ببيروت.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، الطبعة الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله المحبي، دار صادر ببيروت.

الدارس في تاريخ المدارس، لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض.

دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد علي بن محمد بن علان البكري الصديقي، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، الطبعة الرابعة (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.

دمية القصر وعصرة أهل العصر، لعلي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ)، دار الجيل ببيروت.

ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، طبعة (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، مؤسسة دار الشعب بالقاهرة.

ديوان الضعفاء والمتروكين وخلقٍ من المجهولين وثقاتٍ فيهم لين، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، الطبعة الثانية (١٣٨٧هـ)، مكتبة النهضة الحديثة بمكة.

ديوان المعاني، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الجيل ببيروت.

ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، مؤسسة الأعلمي.

الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحميري، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية (١٩٨٠م)، مؤسسة ناصر للثقافة ببيروت.

زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، دار الكتاب العربي ببيروت.

زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة السابعة والعشرون (١٤١٥هـ، ١٩٩٤م)، مؤسسة الرسالة ببيروت.

الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، مؤسسة الرسالة ببيروت.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ حتى ١٤٢٢هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض

سلم المتعلم المحتاج إلى معرفة رموز المنهاج، لأحمد ميقري شميلة الأهدل، نسخة إلكترونية، اعتنى بها: فهد عبد الله محمد الحبيشي.

السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد قره بللي، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، دار الرسالة العالمية.

السنن، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، ومحمد قره بللي، وعبد اللطيف حرز الله، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، دار الرسالة العالمية.

سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ)، دار ابن كثير بدمشق وبيروت.

شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ)، مؤسسة الرسالة ببيروت.

شرح العقيدة الطحاوية، لمحمد بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، الطبعة العاشرة (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م)، مؤسسة الرسالة ببيروت.

شرح المفصل للزمخشري، لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الأسدي الموصلي، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية ببيروت.

شرح ديوان الحماسة، لأحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

شرح ديوان الحماسة، ليحيى بن علي بن محمد التبريزي، دار القلم ببيروت.

شرح ديوان المتنبي، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة ببيروت.

شرح ديوان المتنبي، لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق: فريدرخ ديتريمي، الطبعة الأولى (١٨٦١م)، مطبوعات المدرسة الكلية البرلينية بألمانيا.

شرح شافية ابن الحاجب، لمحمد بن الحسن الرضي الأستراباذي، حققه: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد، طبعة (١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م)، دار الكتب العلمية ببيروت.

شرح شواهد مغني اللبيب، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، عني به وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، طبعة (١٣٨٦هـ)، لجنة التراث العربي.

شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الثانية (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد بالرياض.

شرح معاني شعر المتنبي (السفر الأول)، لإبراهيم بن محمد بن زكريا ابن الإفليلي، دراسة وتحقيق: د. مصطفى عليان، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، مؤسسة الرسالة ببيروت.

شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حققه وراجعه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف عليه: مختار أحمد الندوي، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي.

الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، طبعة (١٤٢٣هـ)، دار الحديث بالقاهرة.

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ود. يوسف محمد عبد الله، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، دار الفكر المعاصر ببيروت.

الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الامام علي بن الحسين عليهما السلام، الطبعة الأولى (١٤١١هـ ق)، منشورات مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بقم بإيران.

ضعيف الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

الطب النبوي، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الهلال ببيروت.

الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد البصري، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى (١٩٦٨م)، دار صادر ببيروت.

طَلِبَة الطلَبَة، لأبي حفص عمر بن محمد النسفي، طبعة (١٣١١هـ)، المطبعة العامرة.

العِقد، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

عقلاء المجانين، للحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

العلل المتناهية في الأحاديث الواهي، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، الطبعة الثانية (١٤٠١هـ)، مطبوعات إدارة العلوم الأثرية بفيصل آباد بباكستان.

العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الهلال.

عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، طبعة (١٤١٨هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

غريب القرآن (= نزهة القلوب)، لأبي بكر محمد بن عزير السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، دار قتيبة بدمشق.

غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة (١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م)، مصورات دار الكتب العلمية ببيروت.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، طبعة (١٣٧٩هـ)، رقَّمه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة ببيروت.

الفرج بعد الشدة، للمحسن بن علي بن محمد التنوخي، تحقيق: عبود الشايجي، الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ)، دار صادر ببيروت.

الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية ببيروت.

الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل، لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، لصلاح محمد الخيمي، ١٤٠٣هـ، من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق.

الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، مصورات دار الكتب العلمية ببيروت.

الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، لمرعي بن يوسف بن أبى بكر الكرمي، تحقيق: د. محمد بن لطفي الصباغ، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ)، دار الوراق بالرياض.

في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، الطبعة السابعة عشر (١٤١٢هـ)، دار الشروق ببيروت والقاهرة.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، الطبعة الأولى (١٣٥٦هـ)، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

القواعد، لعبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية ببيروت.

الكاشف عن حقائق السنن (= شرح مشكاة المصابيح)، للحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م)، مكتبة نزار مصطفى الباز.

كاشفة السجا شرح سفينة النجا للحضرمي، لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ)، دار ابن حزم.

الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية ببيروت.

كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد هنداوي، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ)، المكتبة العصرية.

كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن بالرياض.

الكشكول، لمحمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ببيروت.

اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة (= التذكرة في الأحاديث المشتهرة)، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ)، دار صادر ببيروت.

لسان الميزان، لأحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى (٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية ببيروت.

لطائف الإشارات (= تفسير القشيري)، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، لمحمد بن خليل بن إبراهيم القاوقجي الطرابلسي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ)، دار البشائر الإسلامية ببيروت.

مجاني الأدب في حدائق العرب، لرزق الله بن يوسف بن عبد المسيح شيخو، طبعة (١٩١٣م)، مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، طبعة (١٤١٤هـ)، مكتبة القدسي بالقاهرة.

مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جمع: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، طبعة (١٤١٦هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

المحاسن والأضداد، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ، طبعة (١٤٢٣هـ)، دار ومكتبة الهلال ببيروت.

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، الطبعة الأولى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ببيروت.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (= تفسير ابن عطية)، لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار الكتب العلمية ببيروت.

مختار الصحاح، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، المكتبة العصرية ببيروت.

المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهم جفال، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، لأحمد بن محمد بن الصديق الغماري، الطبعة الأولى (١٩٩٦م)، دار الكتبي بالقاهرة.

المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (= صحيح مسلم)، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م).

المسند، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة.

المسند، لأبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، دار المأمون للتراث بدمشق.

مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة ببيروت.

مشكلات موطأ مالك بن أنس، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق: طه بن علي بو سريح، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، دار ابن حزم ببيروت.

مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ)، مكتبة المعارف بالرياض.

مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ)، دار العربية ببيروت.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية ببيروت.

المصون في الأدب، لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية (١٩٨٤م)، مطبعة حكومة الكويت.

المُطلِع على ألفاظ المُقنِع، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وياسين محمود الخطيب، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، مكتبة السوادي للتوزيع.

المطلق والمقيد، للدكتور حمد بن حمدي الصاعدي، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ)، منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

معالم التنزيل في تفسير القرآن (= تفسير البغوي)، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة (١٤١٧هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع.

معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل الزَّجَّاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ)، عالم الكتب ببيروت.

معاني القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ)، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الطبعة الأولى، دار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة.

المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين بالقاهرة.

المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.

معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ)، عالم الكتب بالقاهرة.

معجم المصطلحات النحوية والصرفية، للدكتور محمد سمير نجيب اللبدي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان.

معجم المؤلفين، لعمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، الطبعة الرابعة (٢٠٠٤م)، مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة.

معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ)، دار النفائس للطباعة والنشر.

المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، الطبعة الأولى (١٩٧٩م)، مكتبة أسامة بن زيد بحلب.

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ)، دار ابن حزم ببيروت.

المغني، لأبي محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة الجماعيلي المقدسي، طبعة (١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م)، مكتبة القاهرة.

مفاتيح الغيب (= تفسير الرازي)، لمحمد بن عمر الرازي، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ)، دار إحياء التراث العربي.

مفردات القرآن (نظراتٌ جديدةٌ في تفسير ألفاظٍ قرآنية)، لعبد الحميد الفراهي الهندي، تحقيق: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، الطبعة الأولى (٢٠٠٢م)، دار الغرب الإسلامي.

المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (الراغب)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، دار القلم بدمشق.

المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي ببيروت.

مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أ. د. محمد إبراهيم عبادة، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ)، مكتبة الآداب بالقاهرة.

مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، دار الجيل ببيروت.

منتخبات التواريخ لدمشق، لمحمد أديب آل تقي الدين الحصني، الطبعة الأولى (٢٠٠٢)، دار البيروني ببيروت.

المنثور في القواعد الفقهية، لمحمد بن عبد الله الزركشي، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ)، منشورات وزارة الأوقاف الكويتية.

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، حققه ووضع حواشيه: د. محمد محمد أمين، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى (١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م)، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.

الميسر في شرح مصابيح السنة، لأبي عبد الله فضل الله بن حسن التوربشتي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، مكتبة نزار مصطفى الباز.

نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، ليوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ)، دار المعرفة ببيروت.

النحو الوافي، لعباس حسن، الطبعة الخامسة عشرة، دار المعارف ببيروت.

النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية، لمحمد الأمير الكبير المالكي، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ)، المكتب الإسلامي ببيروت.

نسيم الصبا، للحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الحلبي، طبعة (١٣٠٢هـ)، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية.

نفح الأزهار في منتخبات الأشعار، لشاكر بن مغامس بن محفوظ البتلوني، تحقيق: إبراهيم اليازجي، الطبعة الثالثة (١٨٨٦م)، المطبعة الأدبية ببيروت.

النكت والعيون (=تفسير الماوردي)، لعلي بن محمد بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ببيروت.

نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الشيباني (ابن الأثير)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، طبعة (١٣٩٩هـ)، المكتبة العلمية ببيروت.

هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، لعبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي، الطبعة الثانية، مكتبة طيبة بالمدينة المنورة.

هدي أهل الإيمان إلى جمع الخلفاء الراشدين القرآن، لمحمد عارف بن أحمد المنير الحسيني الدمشقي، تحقيق: د. مصطفى عثمان محمد ضميدة، الطبعة الأولى (١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية ببيروت

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ)، دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، ود. أحمد صيرة، ود. أحمد الجمل، ود. عبد الرحمن عويس، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت.

الولاية على النفس، للدكتور حسن الشاذلي، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ)، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.